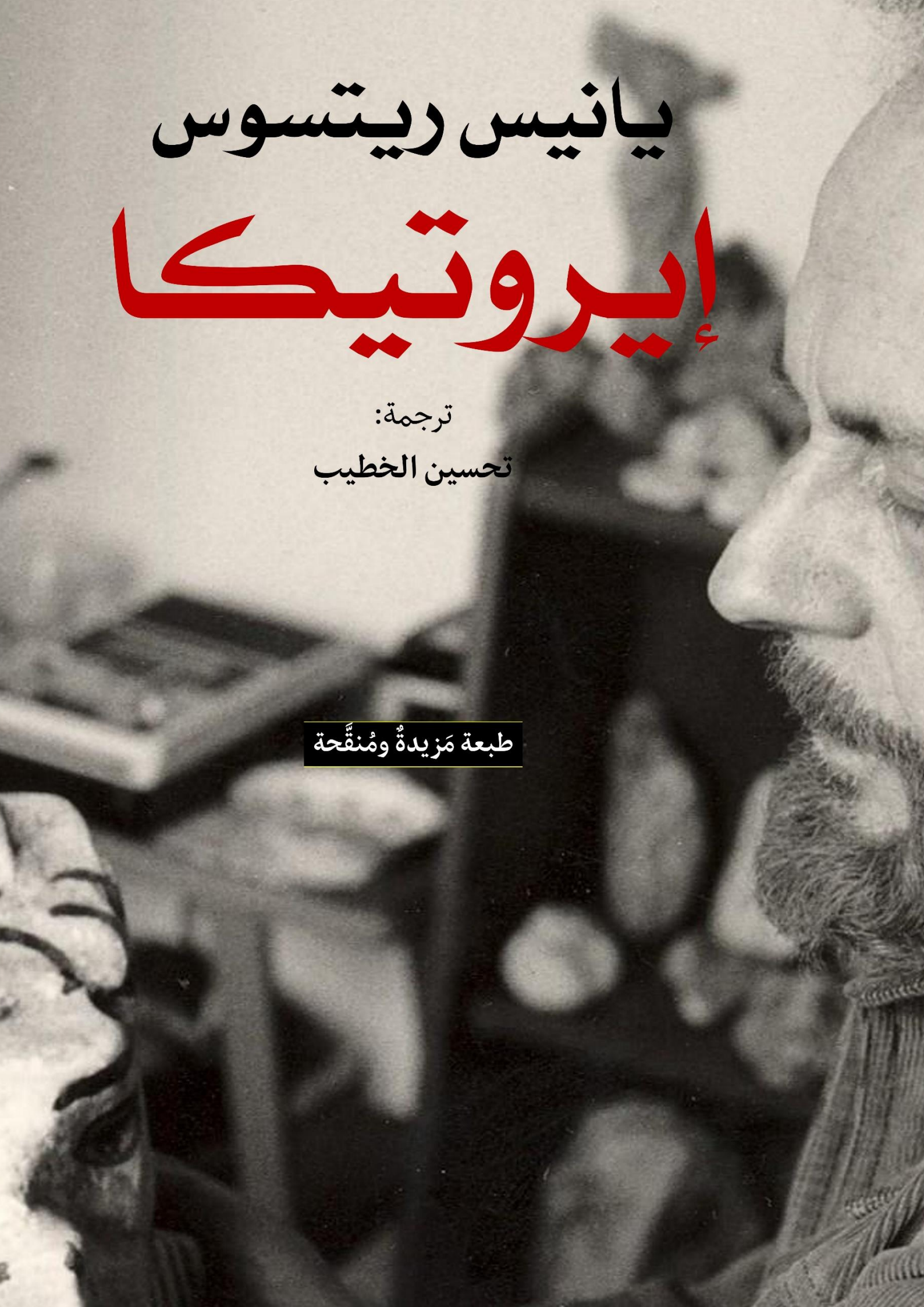

يانيس ريتسوس

إيروتيكا

ترجمة:

تحسين الخطيب

طبعة مَزيدةٌ ومُنقَّحة

• "إيروتيكا: يانيس ريتسوس"، هو الكُرَّاسُ الشِّعريُّ الأوَّل، ضمن سلسلة كراريس شعرية Poetry Pamphlets، التي سوف تصدر، على هامش مجلَّة دفاتر الشِّعر. وسوف نراعي (قَدْرَ الاستطاعة) في طرائق إصدارها، الطَّرائقَ التي قَرَّتْ في الثقافة الغربية (لغياب أيَّة أعراف— للأسف الشَّديد!— في الثقافة العربية، لهذا النَّوع) سواء من حيث عدد الصفحات، أو طرائق ترتيب المحتوى الداخليِّ، واستخدام الرُّسوم الحِبريَّة والتَّصاوير، جنبًا إلى جنبٍ، مع القصائد، ضمن الأعراف السائدة في تلك التَّقاليد.

• وهذه "قائمة أوليَّةٌ" ببعض "الكراريس"، التي نسعى إلى إصدارها، ضمن هذه السِّلسلة؛ ولكنْ ليس، بالضَّرورة، ضمن سياق التَّرتيب الذي سوف تظهر فيه:

كُرَّاس الشعر التَّركي الحديث • كُرَّاسُ الشِّعر الكُوري المعاصر • كُرَّاسُ الشِّعر النَّاطق بالبرتغاليَّة • شاعراتُ الهايكو في اليابان • پابلو نيرودا: قصائدُ نثرٍ وغزليَّاتٌ مختارة • كُرَّاسُ الشِّعر الهنديِّ الحديث • فيذيريكو غارثيا لوركا: قصائدُ نثرٍ وأشعارٌ مختارة • شعراءُ من أميركا اللَّاتينيَّة • شعراءُ من أوروبا الشرقيَّة • كُرَّاسُ الشِّعر الألماني المعاصر • كُرَّاسُ الشِّعر الصِّربي المعاصر • كُرّاسُ الشِّعر الصِّيني الحديث • شعراءُ منتحرونَ وملاعين • كُرَّاسُ شعر الهنود الحُمْر في أميركا والعالم.

يانيس ريتسوس

إيروتيكا

طبعة مَزيدة ومُنقَّحة

ترجمة وتقديم:
تحسين الخطيب

- هذه ترجمةٌ كاملةٌ لكتاب يانيس ريتسوس "***إيروتيكا Erotica***" الصّادر عن دار Sachem Press بنيو يورك، في الولايات المتّحدة الأميركيّة، في العام 1982، بترجمةٍ أنجزها عن اليونانيّة كيمون فريار Kimon Friar.

- كُتبتْ "***متواليةٌ صغيرةٌ على مقامٍ أحمر ممتدٍّ***" بِأثينا في كالاموس Kalamos (أتيكا Attica) وديـاكوفتوس Dhiakoftos (أتيكا) بين 22 كانون الثّاني و 21 آذار 1980. وكُتب "***جسدٌ عارٍ***" بأثينا في كالاموس وسبارطة Sparta بين 24 أيلول و 31 كانون الأوّل 1980. فيما كُتب "***كلامٌ شهوانيٌّ***" في أثينا بين 15 شباط و 14 آذار 1981.

- نشكر ابنة ريتسوس، السيَّدة إليفيريا Eleftheria، على تفضُّلها بمنحنا حقَّ ترجمة هذا الكتاب ونشره.

المحتويات

الجسد الذي هُوَ تحيَّةٌ إلى العالم كلِّه vii
توطئة ix
متواليةٌ صغيرةٌ على مقامٍ أحمرَ مُمتَدٍّ 1
جسدٌ عارٍ 27
كلامٌ شهوانيٌّ 67

يانيس ريتسوس:
الجسد الذي هو "تحيَّةٌ إلى العالم كلِّه"

ليس صوت يانيس ريتسوس صوت الذي يخبّئ نفسه خلف الأشياء البسيطة، وفي التفاصيل الصغيرة، فحسب؛ وإنما صوت الشاعر الذي يواجه رعب الحياة بقميص طافح بالشمس، وفي جيوبه شيء من الموت.

وعلى شاكلة الطفل الذي يظلّل وجهه جناح ملاك، يتوارى ريتسوس خلف أشيائه. أشياؤه وحيدة، وحيدة تمامًا، ولكنّ هذه الوحدة ليست وحدة العزلة، فلا حاجز يفصلها عن العالم، ولا شيء يمنعها عن الآخر. إنّها أشياء مثلما هي، تقيم في الصمت، ملفوظة قبل أن تنسى، ومنسيّة قبل أن تلفظ.

أشياؤه حجر: فالنهار حجر. والكلام حجر. وعدم الأشياء في نومها البطيء حجر.

وأشياؤه أبدية منعكسة: السيجارة ذريعة بين فنجانَي قهوة وثلاث حروب. والنشيد يهبط في الليل، مثقلاً بالحنطة والورد، من عتبة إلى عتبة.

ومن أعظم الأشياء التي يتوارى خلفها ريتسوس، هو الجسد— "فالجسد الملموس أكثر مراوغة من الظلّ".

والجسد الذي يحتفي به ريتسوس، في شعره، جسدٌ مشمس. لا تغيب عنه الشمسُ، حتى وإن دخلت العتمة كي تلبسه. إنّها الشمس التي تريدُ الجسد عاريًا، كي تأخذه— شمس مرشومة بزبد أبيض. لا توبة بعدها ولا ندم. شمس عالية تطبع ختمها في زهرة المرمر، وفي ظهيرة الغد، وفي أمس اليوم الذي يهبط التلال ناثرًا فتات خبزه إلى السَّمك.

إنّها شمس الجسد الذي يمشي المساءُ تحت أشجار زيتونه وحيدًا. الجسد الذي يطرح جلده كجرس في العشب. الجسد الذي تحت سروته يجلس القمر. الجسد الذي يحرث والريح تهبّ. الجسد الرمّانة. الجسد برموش مالحة ويدين برونزيّتين. الجسد البحر. الجسد النهر الذي يجري عائدًا إلى نفسه. الجسد الأيقونة السوداء التي ينام فيها السنونو. الجسد المنحني تحت ركبة الظهيرة. الجسد الزبيب. اللبلاب. الإجّاصة الحامضة. والعنب مرميًّا في الغيمة الزهرة على حافّة الليل. الجسد الصليب. جسد الحجر الوسادة والشجرة التّخت...

الجسد العاري الذي هو "تحيّة إلى العالم كلّه".

وما احتفاء ريتسوس بالجسد، في هذا النشيد الطويل، إلّا احتفاء بالشعر، في المقام الأول: الشعر العاري الذي يتشمّس، وحيدًا، في رعب الحياة.

تحسين الخطيب

عمّان، 2016

توطئة

تدور عين ريتسوس، ذات الطّبقات المتعدّدة، في زاوية من 360 درجة، تنغلق على نفسها تدريجيًّا، لتلتقط تفصيلاً تلو آخر، ثمّ تنسحب راجعةً، وتنفتح على اتّساع محجرها، كاشفةً عن تصميم design لا بُدّ أنّها قد أبصرته من علوٍّ شاهق، ليكون مفسَّرًا على نحو بالغ الوضوح. إنّ تغلغلها المجهريّ يفتّت التّفاصيل في تفاصيل أخرى، وهذه حقيقة، بالنّسبة إلى التّمييز السّيكولوجيّ، مثلما هي، كذلك، بالنّسبة إلى التّمييز الماديّ، أيضًا. ليست رؤيته، على أيّة حال، هي تلك التي لعالم، مثلما قد يشي بذلك تصويري لها، بل لواحد يعشق التنوّع المطلق للحياة في كلّ تجليّاتها، فلا تفاصيل ينبغي أن تظلّ غير مرئيّة، أو غير محتفى بها قطّ، بل وجوب مقاربتها بتبجيل ورهبة وحُبّ، ملاطفتها وضمّها، والانشداه منها والتّعجب كذلك أيضًا. إنّ الأشياء في حدّ ذاتها، في كينونتها ليس إلّا، معجزة وجديرة بحبّ الإنسان. لهذا نرى كيف تنبض أبياته بدفء جوّانيّ وبرّانيّ، وكيف تتّقد بالحسيّة. كالمرايا، تعكس الأبيات مصدر الضّوء والحبّ المتأصّل في عينيّ الشّاعر وفي رؤيته. آنئذ، ندرك، كدهشة عظيمة، كهزّة بالكاد، أنّ قصائد الحبّ، أو القصائد الإيروتيكيّة، في حدّ ذاتها، غير موجودة، على نحو عمليّ، في آثار ريتسوس الضّخمة.

في الواقع، حسب ما أعرف، فإنّه لم يكتب سوى ثلاث قصائد من هذا النّوع. إنّها تشتمل على العمل الحاليّ، حيث قصيدتاه السّابقتان تبلغا ذروتيهما. عنوان القصيدة الأولى، "**قصيدة غنائيّة إلى إيروتاس** Erotas"— كتبت في 1934، عندما كان الشّاعر في الخامسة والعشرين، ونشرت في كتابه الثّاني، **أهرامات** (1935)— يذكّرنا بتمييز جرى عبر اليونانيّة القديمة إلى الحديثة، والذي يبدو أنّ اللّسان الأنغلو-أميركيّ لم يكن في حاجة إليه قطّ. فَ erotas وَ aghapi تستخدمان، في اليونانيّة ، بما يربطه الأنغلو-أميركيّون من عواطف وغراميّات بكلمة "حُبّ love"، وعلى الرّغم من أنّ erotas، في اليونانيّة، تحمل تلميحات/تضمينات حسيّة أكثر من aghapi، فإنّها غير مقصورة تمامًا، كما في الإنجليزيّة، على الجانب الجنسيّ للحُبّ.

إنّ "قصيدة غنائيّة إلى إيروتاس" تمرينٌ أدبيّ في رباعيّات إيامبيّة iambic مقفّاة تستحضر المفهوم المجرّد للحبّ الحسيّ (غير الجنسيّ) كما تمّ ترنيمه أبديًّا في العقول الرومانتيكيّة للشّعراء. فعدم الإشارة إلى حادثة معيّنة، وعدم مناجاة جسد معشوق أو حبيبة، هما الاستحضار الأمثل لعاطفة بلا تجسيد.

ولا يعني ذلك القول بأنّ القصيدة لا تستلهم من أيّة تجربة بعينها. هنا، كان ريتسوس يؤدّي الدّور التّقليديّ للشّاعر في التّفكير المثاليّ وفي التّجريد، وفي التّعميم universalize أيضًا. فبعد بضع سنين، على أيّة حال، في 1937-38، كتب قصيدة طويلة في سبعة وثلاثين جزءًا، بعنوان **سيمفونيّة الرّبيع**، حيث عبر موتيفاتها الموسيقيّة وتفاصيلها الغنائيّة، نستطيع أن نرى بأنّ حادثة محدّدة هي عن عشّاق أحبّوا بعضهم حسيًّا، ثمّ افترقوا محزونين. يتكلّم الشّاعر عن عزلته اللّانهائيّة فوق قمّة ثلجيّة (كان ريتسوس، في ذلك الوقت، قد أدخل، لقضاء سنتين اثنتين، للعلاج من مرض السلّ، في مصحّة على جبل بارنيثا قرب أثينا)، وعن قدره المأساويّ الكئيب (فقد ماتت أمّه وأخوه بداء السلّ)، وعن العالم الفتّاك في الخارج (كانت ديكتاتوريّة ميتاكساس Metaxas في أوج استبدادها). تأتي المحبوبة إليه في الضّوء والأمل، وحبّهما "**يملأُ الصّدع اللّانهائيّ/ بأجنحةٍ وأزهارٍ**". تجلب له المسرّة والحبّ في غرفة يجعلانها كونهما، ويحتفي بجسدها العاري الذي يشارك من خلاله وحدة الكون. يعقب ربيعَ الحبّ صيفُ الوفاء والتحقُّق، ثمّ، وعلى نحو حتميّ، خريفُ القمر الأصفر لشهر نوفمبر، حين تسقط أوراق الأشجار والموت "**يختبئ تحت سريرنا/ ويصنع مزامير من عظام/ سنونوات ميّتة**". بأمل متجدّد، يدرك الشّاعر أنّ حبّه لها ليس سوى حبّ رمزيّ يدلّ على حبّه للخلق والإبداع، وأنّ "**خلف حديقتنا حدائقُ أخرى**"، وأنّه لا يفترق عنها إلّا لينجز قدره الحتميّ كشاعر، متحرّر من كلّ القيود.

وما كادت تُطوَى إلاّ بضع خمس وأربعين سنة حتّى يكتب ريستوس قصيدة "حبّ" جديدة، وهذه المرّة معنونةً، على وجه التّحديد: **إيروتيكا**. وعلى الرّغم من أنّني قد نقلت العنوان، بما يقابله من حروف، من اليونانيّة مباشرةً، فإنّ القصيدة مرتبطة، بلا أدنى شكّ، بالممارسات الإيروتيكيّة الصّريحة التي أوحت بها ضمنيًا هذه **الكلمة**، في اللّغة الإنجليزيّة، أو ألمحت إليها، خاصّة خلال العقود الأخيرة، وعلى الرّغم من وجود إحالات إيروتيكيّة وصور مجفلة، حيث الأشياء مُسمّاة، بكلّ بساطة وصراحة، بأسماء ذواتها الصّريحة، فإنّها ليست سوى حواشي ثانويّة، بالرّغم من أنّها عميقة وشديدة، في مديح أوركستراليّ للجسد العاري وللحبّ. وما تيمتها، اللّافتة للنّظر على نحو يكفي، إلّا رؤية ممتدّة وناضجة للوضع الذي تطوّر في

سيمفونيّة الرّبيع: حبّ تمّ اختباره بشغف وحميميّة، ثمّ نُحِّي جانبًا، على نحو حزين، من أجل رغبات ملحّة أعظم شأنًا. القصيدة السّابقة، في مقارنتها باللّاحقة، هي، في حدّ ذاتها، متوالية [مقطوعة موسيقيّة راقصة] أكثر من كونها سيمفونيّة؛ لأنّ ثمّة، في "**إيروتيكا**"، مدى أكثر اكتمالًا، من ألحان أوركستراليّة دالّة، قد تطوّر في ثلاث حركات. يعلن عنوان الحركة الأولى، "متوالية صغيرة على مقام أحمر"، عن الموتيفة الموسيقيّة والنّغمة، على الفور، فكلمة "أحمر"، التي تتكرّر خلال الحركات الثلاث، هي تيمة الدم، والحب، والنار، والشّغف. كتبت الحركتان الأولتان بأبيات قصيرة متقطّعة تناسب الشّغف المتطوّر الموصوف، لكنّ الحركة الثّالثة تموج بأبيات طويلة متدفّقة حاسمة. للأبيات القصيرة، في الحركتين الأولتين، رغبة ملحّة، ولهفة، بل تردّد وحيرة، كأنّ الاتّحاد الكامل مع المحبوبة لن يكون، بعد كلّ شيء، أمرًا ممكنًا. وبما أنّ الرّجل، في هذه القصيدة، كما في **سيمفونيّة الرّبيع**، يهجر حبيبته، متردّدًا، لأجل حبّ آخر يبدّده بالكامل على نحو ما— إعادة خلق العالم الذي يحيط به بالكلمات، وإظهار عالم جديد يأتي— فإنّ التيمة الرّئيسة معلنة في الفقرة الأولى نفسها. الكلمات إيروتيكيّة في حدّ ذاتها، عروق يسرى الدّم فيها، واقترانها في القصيدة يضيء جلد الورقة بالأحمر مثلما يتورّد الرّجل والمرأة أحمرين آن ممارسة الحبّ. في البدء، كانت **الكلمة** من لحم. وهذه التّيمة متطوّرة، نرى بأنّ المشاركة الجنسيّة، بالنّسبة إلى الشّاعر، والكلمات التي تعبّر عنها، ليست غير منفصلة فحسب، وإنّما تعاظم من بعضها البعض أيضًا، وهي تجربة مجهولة بالنّسبة إلى أولئك الذين يعدّون فعل الحُبّ محض ظاهرة جسديّة وإشباع، ليس إلّا. الكلمات هي وسيط تلك القوّة المتحوّلة التي تضاعف من المسرّة الجنسيّة ولكنّها تحلّق بالتّجربة في عوالم غيبيّة، وتمنحها مدى واسع الخيال. إنّ التّبادُل المتشابك، على نحو معقّد، بين الكلمات والإيروتيكيّ متطوّر عبر الحركات الثّلاث ويبلغ ذروته في الحركة الثّالثة، التي هي معنونة، على نحو بالغ الدّلالة: "كلام شهوانيّ".

كما لو أنّ [العنوان] يذكّرنا، عنوة، بأنّ القوّة الغيبيّة للكلمات لا تستطيع أن تنهض إلّا من أفعال جنسيّة قويّة ومستقلّة، في عالمها الخاصّ، كقوّة الكلمات واستقلاليّتها، في عالمها المحض، فتعلن الفقرة الثّانية، على نحو مغاير، عن مديح العُري والوصال الشّهوانيّ بصورة مجفلة لقدميّ الرّجل تمسّدان نهديّ المرأة. هكذا، يتلاصق العالمان الجوّانيّان والبرّانيّان، ويتداخلان، يقوّي الواحد منها الآخر، ليس فقط العالمان الحميمان اللّذان هما العاشقان نفسيهما، بل عالم غرفتهما الصّغير الجوّانيّ، حيث تحدث معظم الأفعال، ضدّ العالم الظّاهراتيّ خارج نافذتهما.

كما لو أنّ كلّ واحدة من قصار القصائد، هذه، في الحركتين الأولتين، كانت شقوقًا صغيرة، ضيّقة، طويلة ومستقيمة، لنوافذ تعبر مسرعة أمامنا، ولا تسمح لنا سوى بنظرات

عاجلة متفرّقة للغرفة نفسها من الخارج؛ أو للعالم، ولكن ليس من الدّاخل. يصبح كلّ شقّ إطار فيلم بلا تسلسل متتابع، أو مترابط، يمكن أن يكشف عن التّصميم الكليّ أو الحبكة. الغرفة والعالم البرّانيّ مستحضران بلمسات خفيفة تنقيطيّة من ألوان، يضاعف الواحد منها قوّة الآخر، ويغيّر من درجة ارتعاشه، في تأثير بديع ملوّن دائم التغيُّر . نصبح مدركين، على نحو تدريجيّ، للأثاث، والسّرير، والبطّانيّة الحمراء، والسجّادة الحمراء، والسّتائر الحمراء، والمناشف الحمراء المنقوعة، ومنفضة السّجائر، والسّجائر، والعناكب على السّقف، واللّمبة الكهربائيّة، والتفّاح، واللّيمون، والبرتقال، وطنين الثّلاجة. أمّا النظرات العاجلة على الخارج فهي لسلاسل جبال، وأشجار، والأنهار، والأحجار، والشّرطة، والثّكنات، والحانات، الدرّاجات الهوائيّة، والحوانيت المختلفة لبلدة ما. ربّما يهتف العاشقان جيّدًا، كما في قصيدة "صباح الخير" لجون دَنّ، بأنّهما قد شيّدا من "غرفة واحدة صغيرة [مكانًا] في كلّ مكان"؛ فالعالم، الذي في الخارج، نادرًا ما يظهر في القصيدة؛ ولكنّه هناك، ملموحًا، قبل كلّ شيء، عبر العواطف الحبيسة داخل الغرفة، مُلحّاً، وحقيقيّاً، ومهدّدًا في بعض الأحيان على نحو ما.

العاشقان نفسيهما في كلّ مكان ومنتشران، ولكنّهما نادرًا ما يظهران في أيّة حركة متواصلة، كما في فعل الحُبّ، ولكن في أوضاع مقيّدة: هو يضيء مصباحًا وينفخ بأنفاسه ليطفئ عود الثّقاب، هي تحمل برتقالتين أو تقف حاملة كأس نبيذ قرب النّافذة، كلاهما يتبادلان القُبل أو يلامسان بعضهما بقدميهما العاريتين. وعلى الرّغم من أنّنا نلمحهما في العالم خارجًا، فإنّ لهذه اللّقطات السرّيعة وضعيتها الخاصّة وعزلتها كما هي مرئيّة، على نحو خاطف، من الخارج: هي تصعد الدّرج في المطر حاملة قفصًا يضمّ ببغاء أزرق، هو يتمدّد على العشب ووجه إلى أسفل، هما على الشّاطئ والرّمل ينزّ من شعرهما. لقد صنعا، نتيجة لذلك، من غرفتهما وجسديهما العاريين عالمهما. إنّهما العاشقان في قصيدة "التّطويب" لجون دَنّ، [التّطويب] "الذي أنجز العقد الرّوحيّ للعالم كلّه"، ليس في عيونهما فحسب، وإنّما في جسديهما أيضًا. المعشوقة، بالنّسة إلى دَنّ، "أرض جديدة عُثر عليها"؛ أمّا بالنّسبة إلى ريتسوس، فإنّ محبوبته "جغرافيا مجهولة" لا تنضب، يتوجّب عليه أن يكتشفها ويحتفي بها. كمثل دَنّ، يصرخ ريتسوس أيضًا:

عُريُ كاملٌ! كلُّ المسرّاتِ لكِ
كلُّ الأرواحِ بلا جسدٍ، عاريةً لا بُدّ أن تكونَ الأجسادُ .

وعلى شاكلةِ ريتسوس، يصرخُ دَنْ، أيضًا:

أَيُّ مسافةٍ لا تُحدُّ قَطَعْتُ
مِن جَسدكِ
إلى جَسدكِ.

ولكنَّهُ، في الحركة الثّانية، "جسد عارٍ"، يترنّم بجسد المحبوبة، بوصفه [جسدًا] لا ينضب: يحتوي الكون كلّه، ويحقّق الوفاء التامّ، ويحلّ محلّ القصيدة نفسها. تصبح الإيقاعات والفقرات أقصر حتّى في درجة سرعة التنفُّس المتسارع في لحظة فعل الحبّ نفسه. جسدها يستبدله كماء، يحتويه حتّى تصبح هي محيطه كلّه. كلّ الظّواهر مرتبطة بها، ليس السّنونوات والأشجار والهواء فحسب، بل الأشياء العاديّة، كالظلّة الحمراء في الخارج، أو حتّى مغسلة غرفة النّوم، أيضًا. إنّه الجسد العاري الذي يتمدّد، ويحتوي الرّوح في مسرّة شهوانيّة وراء الزّمان والمكان، وراء الموت، إلى عالم متخيّل حيث كلّ شيء حاضر أبديّ. "**جسدكِ**"— يقول لها— "**سماءٌ. / لا طيرانَ/ يضنينا قطُّ**". داخل جسدها يولد، ويموت، ويولد ثانية. كلّ شيء يلمسه— ورقة، طاولة، كأس ماء— هُوَ هيَ الّتي يلمسها. جسداهما واحد. لقد خلقا، في ديمومة الجسد العاري، وفي الشّعور الذي بينهما، عالمًا كاملاً يطوّق كلّ شيء، وهو مقتنع بأنّه يفضّل جسدها على قصائده، أو بالأحرى، ليعثر على الوفاء/التحقُّق الشعريّ فيها وحدها.

"**في جسدكِ**"— يعترف— "**عشتُ/ كلّ الشّعرِ**". يصنع من جسدها رمزًا لرقّة الشّعور، تمثالاً حيث يمكن للمثّال أن يوحّد الجمال والرّغبة الإيروتيكيّة معًا. لهذا السّبب، فإنّ التّمثال، بوصفه رمزًا، مذكور، كلمح بالبصر، في الحركة الأولى؛ يلوح كذي شأن، وممدوحًا لأنّ شكله البرّانيّ قد يمنح المثّال احتمالاً أكبر على تشكيلٍ في المكان لما يمرّ سريعًا في الزّمن.

ولكن، ربّما الرّمز الذي يستحضر، بدرجة أشدّ، سطوة الجسد الماديّ وقوّته الجنسيّة، والذي يربطه، في الوقت ذاته، بالفعل الأبداعيّ للشّعر، هو الحصان. إنّه واحد من الدّلالات المهيمنة المُقنعة في القصيدة، سواءً كان بالأحمر أو الأبيض، أو مصنوعًا من الكريستال، بقضيب أسود منتصب. صبايا عاريات، والمحبوبة، على صهوته. ولكنّه أيضًا بيغاسوس، جواد الشّعر المطهّم المجنّح الذي ينتعل حذوات ذهبيّة ثقيلة جدّا فلا يستطيع الطّيران. كما أنّ الشّاعر نفسه مسحوق تحت وطأة حبّه الذهبيّة فلا يكترث إن كان سيطير بيغاسوس، أو شعره، ثانية. ثمّة في اليونانيّة لعب على الكلمات هنا لا يمكن ترجمتها. الكلمة المقابلة لكلمة حصان هي "aloghos" ("بلا كلمات" أو "بلا كلام") لكنّ "aloghos" تعني "طائشًا" و"غير

منطقيّ"، وأنّ أصلهما المشترك "loghos"، في حدّ ذاته، يعني "كلمة" أو "كلام". "الصّريح المباشر"— يقول الشّاعر— ينبذ القصيدة"، لأنّ تحليقة الشعر لا تكون في خطّ مستقيم قطّ، وهي ، في هذا السّياق، تكون "طائشة وغير منطقيّة". "جدِ المخارج بالمرواغة والخداع"، قال الحكيم بولونيوس. الشّاعر عالق في أضدّاده؛ غارقًا فيها حتّى صار احتمالات الجسد التي لا تنضب، فيقول: "الأجسادُ/ ترفضُ الكلمات. / إنّها تتخاطبُ/ عاريةً وخرساء".

وإن كانت أيقاعات الحركة الأولى، "متوالية صغيرة على مقام أحمر ممتدّ"، في فقراتها الصّغيرة، تمتلك لهفة الحبّ المشتهى (الذي ما زال غير مدرَك حتّى الآن تمامًا) وحيرته كذلك؛ وكانت إيقاعات الحركة الثّانية، "جسد عار"، في فقراتها القصيرة السرّيعة المتلاحقة، تضطّرب كالأنفاس اللّاهثة عند ممارسة الحبّ، فإنّ إيقاعات الحركة الثّالثة الختاميّة، "كلام شهوانيّ"، وفقراتها، تطول وتموج كصدرٍ آدميّ يتنفّس عميقًا بعد الوفاء والسّعادة النّاجمين عن إشباع كامل وتماهٍ مع المحبوبة. وثمّة، طيلة الحركتين الأولتين، فيض من أفكار مهيمنة صاعقة ومتكرّرة، على نحو متناغم. محبوكة ومتبدالة، تظهر كلّ واحدة فجأة، مثلما تختفي فجأة، لتعاود الظّهور، لاحقًا، في تراكيب مختلفة، كنغمات موحية أو سلسلة أوتار مرتّبة، على نحو انطباعيّ، كالأنغام المهيمنة المتكرّرة في موسيقى ديبوسي وراقيل. الآن، في الحركة الثّالثة، تصبح في بؤرة تركيز أوضح، محتشدة ومستخلَصة. كما يصبح العاشقان في بؤرة تركيز أوضح، والسّرير والغرفة وحتّى العالم الخارجيّ أيضًا. الإشارات إلى النّوم وحلم نصف اليقظة الشّهوانيّ الذي يعقب فعل الحبّ، تعمّ الحركة برمّتها الآن. كما تتمدّد الصّور وتتّسع أيضًا؛ تستوحذ الصّفات على قوّة غير مألوفة في قصائد ريتسوس، ثمّ تتحرّك جميعها في تبادليّة من أبعاد وإشراقات. عادة ما تتحرّك قصائد ريتسوس في حيّز مكانيّ متجسّد على نحو متقشّف، معيّن وواضح المعالم، ولكنّه مضاء بإشراق غامض غير معروف. لو تتوالى أحداث إحدى قصائده بغرفة في ساعة هاجرة ما، فإنّ كلّ القصائد سوف تتحرّك في تلك الساعة، وفي تلك الغرفة، في الضوء المحدّد لتلك الهاجرة. لكنّ قصائد الحركة الثّالثة تستطيع أن تتطوّر في الصّباح أو اللّيل، تعود إلى الظّهيرة، تصل منتصف اللّيل، ثمّ تتحدّر إلى فجر اللّيل التّالي. الفضاء والمكان متداخلان، لأنّنا قد نجد أنفسنا، في ذات القصيدة، مقذوفين في غرفة نوم، في جادّة، في عيادة، في متنزّه؛ مثقلين بأنهار ومفاتيح وأحصنة وكراسي وطاولات وأعمدة إنارة، حتّى يتّحد الزّمان والمكان، الحلم والأشياء، الحواس والرّوح، في الحساسيّات الإبداعيّة للشّاعر وقصيدته.

تتّسع الصّور والأشياء والأنغام المهيمنة المتكرّرة في محيط عميم واسع، ولكنّها تدور متناغمة حول مركز واحد: الجسد المعشوق، وفي هذه الحركة الختاميّة يصل مديح ريتسوس إلى ذروته المطلقة الحاسمة، خاصّة في القصيدة XI. تصبح روح العالم كلّه وظاهرته متحقّقين

في الجسد المعشوق، ويحقّق اتّحاد الجسدين في كون واحد معياره النّغميّ الجامع والأقصى. "**جسدكِ**"— يقول الشّاعر— "**لا يحدُّ. / جسدكِ لا يوصَفُ. أريدُ أن أصفه**". ثمّ يواصل فعل ذلك، مماهيًا إيّاه مع تنوّع الطّبيعة المذهل والملكوت الإنسانيّ المدهش، بِـ "**بلتةِ وردٍ رقيقةٍ في كأسِ ماءٍ صافٍ**"، و"*أخطبوطٍ رهيبٍ ضارٍ بمجسّات نازفةٍ في الطّاسِ الزّجاجيّ للقمر*"، بِـ "**ماخورٍ عتيقٍ بشارع صُوْبِيْرْبْيَا بعاهراتٍ عجائزَ تخضّبن/ بأحمرِ شفاهٍ زيتيّ رخيص**"، أو بِـ "**صبيّةٍ صغيرةٍ مشرقةٍ/ تجلسُ تحت شجرة تفّاح تأكلُ/ قطعةَ خبزٍ طازجٍ وحبّةَ بندورةٍ حمراءَ مملّحة**". تشكّل الحركات الثّلاث، مجتمعةً، سيمفونيّة إيروتيكيّة؛ تسبيحةً للجسد العاري الذي يحتوي كلّ الجمال، كلّ الحياة، كلّ الشّعر، كلّ الرّوح، وكلّ اللّاهوت. يتجاوز معنى الحبّ الشّيءَ الإيروتيكيّ نفسه، ولكنّه— بواسطة هذا الشّيء— يصل إلى مديح الحياة والإبداع ويبرّر الوجود الإنسانيّ نفسه.

ويجد ريتسوس الجسد المعشوق لا محدودًا؛ حتّى إنّ هذا الجسد ليستبدل، في نشوة التّجربة، حاجتَه الأشدّ، التي لا يسبر غورها، فيصبح القصيدة الحيّة نفسها. فبدلًا من صنع القصائد، كان يعيشها على جسدها الذي يحتويه. "**القصائد التي عشتها على جسدكِ في الصّمتِ**"، يقول لها في القصيدة VI، "**ستسألني ذاتَ يومٍ عن أصواتها، حينَ تكونينَ قد ذهبتِ**". ولكنّه آن يراها تمشي عاريةً في الغرف، متكوّرةً في السّرير بقدمين معفّرتين، تتمطّى باستفزاز، وشعرها يتدلّى على عينيها، يصرخ: "**حسنًا، إذن،/ أنّى يكونُ ليَ صوتٌ؟ فالشّعر لم يمشِ كمثلِ ذلكَ قطُّ/ تحتَ شجرِ التّفاحِ، المزهرِ أبيضَ من غيرِ سُوءٍ، لأيِّ فردوسٍ**". إنّه جسدها الذي هو القصيدة، لأنّ مسامه "**تمحو/ حروفَ العلّةِ، والحروفَ الصّحيحةَ المشتاقةَ**" حيث "**كلماتٌ سريّةٌ لُفظتْ، / انفجاراتٌ ورديّةٌ من فعلِ الحُبِّ**".

كلّ هذا قاطع وحقيقيّ في تجربة الشّاعر الآنيّة وفي مخيّلته الإبداعيّة. غير أن ثمّة تذكيرات بهيجة وعابسة، خلال القصيدة، بعالم الطّبيعة وبالعالم الذي أوجده الإنسان وراء ذرائع مخيّلة الشّاعر أو مخيّلة الجسد نفسها. ثمّة عالم ليس من أشجار وأزهار وسلاسل جبال فحسب، بل من جنود يهرعون في الشّوارع خارجًا، من نساء يصرخن، من شاحنات ثقيلة تهدر، من صفّارات إنذار، من لافتات مرور تأمر متى يتوجّب عليك أن تمضي ومتّى يتوجّب عليك أن تتوقّف، ومن ثلاثة غزال مقتولة في المصعد. إنّ متطلبات العالم الخارجيّ ضرورة عالم الشّاعر الجوّانيّة القصوى تجبره على الاعتراف، بإسهاب، بضرورة الانتباه إلى "أبياتٍ قصيّةٍ غير مكتملة". "**أنصتي**"— يقول لها، آن تقترب السّيمفونيّة من الخاتمة— "**في الشّوارعِ أسفلَ يعبرُ المضربونَ بلافتاتٍ ورايات. / هل تسمعين؟ لقد تأخّرنا. خذي أيضًا المنديلَ الذي ترقصينَ بهِ. لنمضي. شكرًا لكِ، يا حُبّي**".

تبدو هذه التّجارب، في قصائد ريتسوس، بأنّها كانت عارمة، مثلما كانت قليلة وقصيرة، أو حريّ بنا القول إنّ ندرتها وكثافتها قد منحتاها شدّتها. من الواضح أنّ الشّاعر قد صنع من هذه الوقائع معيارًا لأيّ شيء يرغب في تحقيقه بالشّعر، لأنّه ماهى، على نحو غير قابل للنّقض، بين الشّغف والشّعر، وبين عشق جسد المحبوبة وجسد العالم بوصفهما واحدًا. جسدها جسر يقوده إلى العالم الخارجيّ، ومن تجربته معها يستمدّ شجاعته للإستجابة— بحسيّة إيروتكيّة على نحو ما— إلى كلّ تنوّع العالم، وإلى عناق هذا التنوّع أيضًا، دون أن يخفق، على أيّة حال، في التّفريق بين الحقّ والباطل، متحمّلاً مسؤوليّات الإنسان بوصفه حيوانًا سياسيّاً. يتوجّب عليه أن يكرّس حياته: لمديح التنوّع اللّامتناهي لجسد العالم تارةً، ولإدانة كلّ ما هو باطل وشرّير تارةً أخرى. ولكنّه يدرك، كما أدرك شعراء كثيرون من قبله، بأنّ الحبّ أو الشّغف الإيروتيكيّ يبدّد القوى الإبداعيّة مثلما يضاعفها أيضًا، ويصبح وفاء/تحقُّقًا مكتفيًا بذاته. وآن يفترق حزينًا، ولكنّه يحتفظ بهالة ذلك التّحقُّق الذي يستطيع به أن يضيء حبّه للعالم، ولعمله بوصفه فنّانًا، يعرف الشّاعر ضرورة إدانته لنفسه على تلك الوَحْدانيّة، وتلك العزلة، التي هي في الغالب قدر الشّخص المبدع. كتعويض، نراه يلاطف العالم كما يلاطف جسد المحبوبة العاري، ثمّ يزيّنه بكلام شهوانيّ. هكذا، وعلى الرّغم من أنّ ريتسوس قد كتب بضع قصائد "إيروتيكيّة"، أو قصائد "حبّ"، على وجه التّخصيص، فإنّ إحساسًا كامنًا من حسيّة يسري في شعره كلّه.

— كيمون فْرايار

أثينا، 1982

مُتواليةٌ صَغِيرةٌ على مَقامٍ أحمرَ مُمتَدٍّ

والكلماتُ
عُروقٌ
يَسْرِي الدَّمُ فِيهَا
حِينَ تحتشدُ الكلماتُ
يَشتعِلُ جِلْدُ
الورقةِ أحمرَ
مِثلَ مَا يَشتعِلُ جِلْدُ الرَّجُلِ
والمرأةِ
لحظةَ الحُبِّ.

على السَّجَّادةِ الحمراءِ
عاريةٌ تمامًا
بِعينَيْنِ مُغمضتَيْنِ
في انتظارِ
أنْ يخلعَ نَعْليهِ
وجَوربَيْهِ
كي يُمسِّدَ نَهدَيْهَا
بِقدمَيْهِ العَريضتَيْنِ
بِقُوَّةٍ، بِقُوَّةْ.

جَبَلَانِ
جَسَدَانِ
شجرةٌ وحيدةٌ
والنَّهرُ الطَّويلُ
بَعِيدٌ كَمَا البحرُ في الأسفلِ
كَمَا المِينَاءُ الآخرُ
بِحاناتِهِ
وَمُجَدِّفِيْهِ
وَدكاكينِ حَدَّادِيْهِ—
وثمَّةَ موسيقى، أيضًا، هُنَاكَ.

سَدِيمٌ
تلالٌ ناعمةٌ
ذهبتْ في العتمةِ
كيفَ يمكنُ أن يكونَ
بينَ الرَّماديِّ الكليِّ الشَّاحبِ
جسدٌ عارٍ
أحمرُ
مُنتَصِبٌ؟

القصيدةُ
آهِ القصيدةُ— قَد يقولُ—
نِكَاحٌ دائمٌ
لا علاماتِ تَرقيمٍ

ولا حتَّى نقطةٌ واحدةٌ
عبيرُ الأرضِ
سمادٌ وبراعمُ ليمونٍ
وَمَنِيٌّ
المعولُ والرَّفشُ
على الرُّخامِ
عملٌ مضاعَفٌ
لا تَقُل شيئًا آخرَ
الحُبُّ واحدٌ.

تلبسُ ثيابَها تَتَعَرَّىْ
نارٌ ثيابُهَا
وعُريُهَا نَارُ
تذوبُ المَسامِيرُ
نهرًا مِنَ الحَدِيدِ
يَجرِي تحتَ الأشجارِ
تَنفَتِحُ نوافذٌ ثلاثُ
تنظرُ العصافيرُ إلى الدَّاخلِ
وفِي مَناقِيرها عُودُ ثِقَابٍ
زجاجُ ثِنْتَي عشرةَ نافذةٍ أحمرُ
وزجاجُ سِتٍّ ذَهَبُ.

أسفلَ السَّريرِ
نَعْلَاهَا
يَحفظانِ شكلَ قدمَيْها

دفءَ قدميها
إنّهما تنفّسانِ
وطائرانِ أبيضانِ
بعيونٍ سوداءَ فاحمةٍ
وَطَوْقٌ مِن مَعدنِ النِّيكل
حولَ عنقيهما.

لا يَتعَبُ— يقولُ—
لا يَتعَبُ
الجسدُ الآدميُّ
سماءٌ محتشدةٌ
سماءٌ حمراءُ
تغرقينَ
ولا غُصنَ تُمسكينَهُ
ولا أرضَ تَقِفينَ عليها
سماءٌ محتشدةٌ—
ولكي ينفتحَ جناحاكِ
يَنبغي أنْ تتجلّي.

لَمْ تَخِطْ
قميصَهُ
قَطَبَتْهُ بالدّبابيسِ
لِتجرحهُ حينَ يرتديهِ—
يَا لِجَمالِ القَمِيصِ حِينَ يَليقُ بِهِ القَمِيصُ
يَرتَدِيهِ مَفتُوحًا
وحَوْلَ عُنُقِهِ الشَّديدةِ

بياضٌ أبيضُ مِن غيرِ سُوءٍ
بِبُقَعٍ حمراءَ تَفِيحُ.

طيلةَ ليالٍ شهوانيّةٍ
القمرُ في الغرفةِ
القمرُ على السّريرِ
على الجسدِ العاري—
أسفلَ الدّرجِ في القبوِ
ينقدحُ الحديدُ
والحَدَّادُ يُسَمِّرُ
حذواتٍ ذهبيّةً
على حوافرِ الجَوادِ المُطَهَّمِ
الأبيضِ المُجنَّحِ
ولكنّكِ لا تكترثينَ
إنْ كانَ سوفَ يَطِيرُ
بِحذواتهِ الثَّقيلةِ ثانيةً.

تحتَ ثَوْبِهَا
عاريةٌ
فوقَ ثَوْبِهَا
عاريةٌ تمامًا
تحملُ كأسًا طويلةً
أمامَ النَّافذةِ—
هل ستقدِّمُها إليكَ؟
ألن تفعلَ ذلك؟
إنّها تشربُ منها

ولا تنظرُ إليكَ
إنَّها الآنَ أكثر عُريًا
بِوَردةٍ
بينَ نَهدَيْهَا.

أصابعُ اليَدَيْنِ
أصابعُ القَدمَيْنِ
أعضاءٌ ذَكَريَّةٌ
بينَ الأصابعِ الخمسةِ
أربعةُ فُرُوجٍ
— عشرونَ وَسِتّةَ عَشَرَ —
وَقَبْلَ أنْ تَحظى بِوقتٍ
لِتَجْمَعَهَا
يَبَجِسُ مَنِيُّكَ
على شَفَتَيِّ التِّمثالِ.

الدِّثَارُ الزَّغبُ
النَّارُ والدُّخانُ
اللَّيلُ
والجسدُ العاري
قمصانٌ تُرَفْرِفُ
على الشُّرفةِ
راياتٌ تخفقُ
وتفّاحاتٌ حمراءُ

تتدحرجُ مِن فَوقِ الطّاولةِ
وتفّاحةٌ صفراءُ
لَقَد طَالَتْ أظافري
وَتَهَدَّلَ شَعريْ.

كيفَ يكبُرُ
في اللّيلِ
هذا الجسدُ
القدمانِ
تنتآنِ من السّريرِ
تنتآنِ من النّافذةِ
نجمةٌ تُولَدُ
ومفتاحٌ يَضِيعُ
ينغلقُ البابُ
أظلُّ في الخارجِ
وعلى رُكبَتَيَّ
تسقطُ يَدُ التِّمثالِ.

ثُمَّ هبطَ اللَّيلُ
كُرسيَّانِ خشبيَّانِ
على القَمرِ
وهُمَا على الكُرسيَّينِ
حَافِيَيْنِ
يُقابِلُ أحدُهمَا الآخرَ
يَتَلَامَسَانِ

بِاصبعيّ قدمَيْهما الكبيرَيْنِ
أوْ يَكَادَانِ.

حركَتُهُ
شعرُهُ
يداهُ
جنديٌّ وحيدٌ
في الغابةِ
طائرةٌ ورقيّةٌ
تُرِكَتْ على الصَّخرةِ
بعضُ الطَّريقِ
في ضَوءِ الشَّمسِ القويِّ
طريقٌ مُبتلَّةٌ
بماءٍ مجهولٍ.

جسدٌ عارٍ
يستلقي أو ينهضُ
جغرافيا مجهولةٌ
دُرِسَتْ ألفَ مَرَّةٍ
حُفِظَتْ عن ظهرِ قلبٍ
مجهولٍ—
أسمعُ الطَّقْطَقَةَ—
مَنْ رَمَى النَّرْدَ
على بلاطِ الحمَّامِ؟

يَدُكِ
أمْ ليسَ إلَّا
أصابعُكِ الثَّلاثةُ
التي تحملُ الكأسَ
التي تَكشِفُ
جسدَكِ
عاريًا بِأَسْرِهِ
أُغمضُ عينيَّ
كي لا تُبصِريْ فَتَرحَلِينَ
في الظَّهيرةِ
يعبرُ شاحذُ السّكاكينِ
في الحارةِ
سأعطيهِ السّكاكينَ الاثنتيّ عشرةَ
فِي الخَفَاءِ.

لا تفعلي شيئًا
سأُعدّ الطّعامَ
سأفرشُ المائدةَ
لن آكلَ
سأنظرُ إليكِ وأنتِ تأكلين
كَمَا لَوْ كُنتِ جَاهِلَةً
وأنتِ كذلكَ حقّاً
سألتقطُ الدّبابيسَ
واحدًا واحدًا من على الأرضِ
لن ألتقطَ ثوبكِ

سأبقيهِ هناكَ
بُرجًا من دفءٍ
بِعصفورينِ وقمرٍ واحدٍ
وعلبةِ ثقاب.

أثاثٌ، أقمشةٌ
أشياءٌ شائعةُ الاستعمالِ
المصباحُ القديمُ
زرٌّ في كأسِ الماءِ
ذرائعُ — قالَ —
تجليّاتٌ
للّذي لَمْ يُسمَّى بَعْدُ—
خلفَ السّتارةِ الحمراءِ
امرأةٌ عاريةٌ
ببرتقالتينِ في يديها
نهضتُّ على الكرسيِّ
أنظّفُ السّقفَ من العناكبِ
ولكنَّني
إنْ لَمْ أُسَمِّيكِ
فَلَسْتِ أنتِ
وَلَسْتُ أَنَا.

في المرآةِ

أنتِ اثنتانِ
وفي الأخرى ثَلَاثُ
إحدى عشرةَ خمسَ عشرةَ أربعٌ وعشرونَ
لقدِ امتلأَ البيتُ
لقدِ امتلأَ العالمُ
ولا مرآةَ
بُحَيرةٌ فحسبُ
فيها العجلةُ الكبيرةُ
وأحدُ صنادلكِ
على الطّاولةِ
قُربَ منفضةِ السّكائرِ.

تلاقتِ الشّفاهُ
اللّسانانِ
الرّضابُ
هَا قَدِ احتشدَ رضابُهما
فَخَلَقَا
إلهًا
بِأقحواناتٍ صغيرةٍ
على صَدرِهِ الأَشْعَرِ
ورغيفِ خبزٍ على ركبيتهِ
لقد دُقَّتْ بالمساميرِ البوصلةُ
في منتصفِ الخريطةِ
العالَمُ دائرةٌ.

جسدانِ ساكنانِ

في حركتهما
قشٌّ في شعرهما
لَمْبَّةٌ حمراءُ
نَفَسٌ أحمرُ
عصافيرُ ليلٍ
أبوابٌ مرايا
إنصاتٌ سرّيٌّ
ثُمّ
أحجارٌ هائلةٌ
تتدحرجُ أسفلَ الجبلِ
تسقطُ في البحرِ
رشّةُ ماءٍ
وفي جهةٍ صوتُ الثّلاجةِ
الذي يَعْلُوْ ثُمّ يصمتُ.

جذورٌ متشابكةٌ
ديدانٌ بيضاءُ
يساريعُ خضراءُ
أوراقُ أشجارٍ في الأعلى
سيكارتانِ
تُدخّنانِ
في المرمدةِ ذاتِها
مساءٌ أحمرُ
زجاجُ نوافذَ مكسورٌ
حلمتُ— قالَ—
آهٍ أيّها الأحمرُ المَنِيعُ
لمْ أعُد أتذكّرُ
أنقرُ الجدارَ بأصابعي

ووحيدًا أُنصِتُ.

سلاسلُ جبالٍ شاهقةٍ
أشجارٌ كثيرةٌ
والنّهرُ في الأسفلِ
كانَ الحطّابونَ يصرخون
وكانَ قاطعو المرمر يصرخون
لقد مرَّ القطارُ
رفعتِ يدكَ
فتطايرَ مِن تحتِ إبطَيْكِ الدُّخانُ
نسيتُ الحارسَ شرطيَّ المرورِ
تمثالَ الفارسِ
أُخبِّئُ المفتاحَ
خلفَ زهرةٍ
ثُمَّ أسعلُ.

جلسوا على الأرضِ
وخبطوا الأرضَ بأياديهمُ
طارتْ عصافيرُ
اعْقِدُوا النّارَ حلقاتٍ
وبِظلِّكم اتَّحدوا
قالَ النّبيُّ
أحضَروا الكأسَ الكبيرةَ
غمسَ كلّ واحدٍ أحدَ أصابعهِ
في الماءِ الباردِ
رسمَ صليبًا

على الجسدِ العاري
كان الرّجلُ العاري يتمدّدُ
على العشبِ المحترقِ
مُكِبًّا على وجههِ.

الثّكناتُ
خلف الصّنوبراتِ
كانا ينتظرانِ
قربَ النّافذةِ
حينَ سُمِعَ في الشّارعِ
نداءُ بوقِ المساءِ
فتعرّيا سريعًا
واستلقيا—
وفي الحارجِ على الجدرانِ
على مساميرَ وخَيْطٍ
كانت النّباتاتُ الشّهوانيّةُ الهائلةُ
تصعدُ.

الكلماتُ
تثقبُ الورقةَ
تخرجُ من الجهةِ الأخرى
جسدٌ
يخترقُ الآخرَ
ولا يخرجُ من الجهةِ الأخرى
الخزّافُ

بائعُ الفاكهةِ
الجزّارُ مع كلبهِ
القمرُ يتجلّى
ورقةُ أشجارٍ تسقطُ على الإسفلتِ
يتلقطها الرَّجلُ الأعمى.

العينانِ جائعتانِ
الأُذنانِ جائعتانِ والمَنْخَرانِ
الفمُ واللّسانُ
جائعٌ هُوَ الجسدُ
يشمُّ ينصتُ يتلمّسُ طريقَهُ
على الرّكبتينِ الثّيابِ الجيوبِ
الشّكلِ الجسدِ الآخرِ
الرّموشِ واحدًا واحدًا
وفي اللَّيلِ تماثيلُ تركضُ

رجالٌ برايةٍ
أعمدةُ مصابيحَ
الجسدُ الصّابئُ يتلمّسُ طريقَهُ
في ملتقَى إيماءةٍ واحدةٍ
يتلمّس طريقهُ أبعدَ من الموتِ
داخلَ الموتِ
ينصتُ إلى المغسلةِ يتقاطرُ منها الماءُ
في الحمَّامِ المَرْمَرِ

وقَدِ انتقعَتِ
المناشفُ الكبيرةُ الحمراءُ.

ضَعْي قدمَكِ عاريةً
على الورقةِ
على القصيدةِ
سأرسمُ بقلمي الرَّصاصِ
كِفَافَها
سأدّقها بمسمارٍ صغيرٍ
في الجدارِ
سأشعلُ الشّمعاتِ الثّلاثَ
في الشّمعدانِ—
ثمّ أغلقُ البابْ.

هُدْنَةٌ قصيرةٌ
حتَّى أستطيعَ أنْ أرى شجرةً
درّاجةً هوائيّةً
دخانَ قطارٍ—
جَنَبَةً حمراءَ
قربَ دكّانِ القرطاسيّةِ
يومَ الأحدِ
كَمْ هُمَا كَتُوْمَتَانِ
في صَبْرِهما
يَدَايَ وهُمَا تُعِدَّانِ

لِصِرَاعٍ جَديدٍ
معَ يدَيْكِ.

إنّها أحجارٌ
وأحجارٌ أخرى
موسيقى
تنبعثُ من النّافذةِ
إنّه خوفُ العبوديّةِ
الأفضلُ
الملموسُ الّذي لا حَدَّ لهُ
تنفُّسُ المرآةِ
المتوحدُّ
والّذي يصعدُ الدّرجَ
بمشكاةِ عاملِ التّحويلةِ
يخلعُ معطفَهُ
ثُمَّ يعلّقهُ على المشجبِ
يسقطُ المعطفُ
في البقعةِ
الّتي عَلَّمتُها بالفحمِ تمامًا.

في قلبِ الشّتاءِ
لبسَ الأبيضَ النّاصعَ—
ما الّذي كانَ عليهِ أنْ يُخْفِيهِ؟
الأحمرَ الأخرسَ؟
ساعةَ يدي المسروقةَ؟

تُرَى مِنَ النّافذةِ، حقّاً، دونَ رَيْبٍ
السَّرواتُ الثَّلاثُ
والمدخنةُ عديمةُ الدُّخانِ
ذاتُها.

رحلةٌ صورٌ رجالٌ
امرأةٌ تحملُ شَمسِيَّةً
أصواتٌ مجلجلةٌ تندلعُ مِن بُرجِ الجرَسِ
في السّابعةِ مساءً
في الدّكاكين المعتمةِ؛ دكاكينِ بائعي السُّجقِ
في دكاكينِ التّبغِ
كرسيٌّ وحيدٌ
جنديّانِ
إبهامُ أُوْرِيْسْتِس[1]
على مفتاحِ البيانو
في عتمةِ الغسقِ
الذي نُسمّيهِ جمالاً
ها هُوَ— يقولُ—
الّذي يُهيّئُ المَنِيَّ
وقفةَ الزّمنِ
القصيرةَ—
ربّما قليلاً أبعدَ؟
قليلاً أقرب؟

[1] أوريستس Orestes: ابن أغاممنون وكلايْتِمِنِسْتْرا. قام هو وشقيقته إلِكْترا بقتل والدتهم وعشيقها ثأرًا لمقتل والدهم. (المترجم)

كومةُ ليمونٍ
على الطّاولةِ
على الكراسي
على السّريرِ
ومضاتٌ صفراءُ
تركضُ فوقَ جسدكِ
أُحبّ الدّنيا حينَ تمطرُ
ليلٌ بألفِ ليمونةٍ
ثمّ فجأةً مشكاةُ حارسِ الغابةِ
تُوقِفُ الأرانبَ الوحشيّةَ المُبتلّةَ
على أقدامها الخلفيّةِ.

ربّما الّذي لمْ نَقُلهُ
قد حفظَ
إيماءاتِنَا
وأفعالِنا
كأفعالِ شخصٍ ثالثٍ
لقَد بَدَّدَ الآخرونَ الوقتَ سُدى
لَفُّوا السَّمكةَ
(كانتْ حمراءَ)
في ورقِ الجريدةِ
ثُمَّ دخلوا عبر البابِ الزّجاجيِّ
وتلاشوا—
لا بُدَّ وأنّ تلك السَّمكةَ
قد كانَتْ سِرَّهُم.

آهٍ أيّها الجسدُ البِلاأخطاءٍ
كمْ مِن أخطاءَ كثيرةٍ كثيرةٍ
مع نصفِ قمرٍ عابرٍ
فوقَ أشجارِ الرّصيفِ العاري
جنودٌ في إجازةٍ يدخّنونَ
أسفلَ الظُّلَّةِ
لقد كانت تمطرُ طيلةَ النّهارِ
أسمعُ الماء يتدفَّقُ بِلَا نهايةٍ
من المزاريبِ إلى الشّوارعِ
رغمَ أنّني أعرفُ
أنّ تذكرةَ السَّفَرِ هذهِ
قد فاتَ أوانُها.

الجسدُ— يقولُ—
في حالةِ الجَرِّ: بالجسدِ
والجسدِ عمومًا
لا كلامَ أكثرَ إيجازًا لديَّ
آخذُ الحقيبةَ البلاستيكيّةَ
وأدخلُ مطاعمَ عموميّةً
أجمعُ عظامَ الأسماكِ
لقططِ الحَيِّ البريّةِ
وخلالَ فتراتِ الاستراحةِ— يقولُ—
أُكلّمُ الموسيقيّينَ
في كواليسِ المسرحِ المُعتمِ

يا للمسافةِ اللّانهائيّةِ الّتي قطعتُها
من جسدكِ
إلى جسدكِ.

موانئُ مدنٌ
تشعلُ مصابيحَها
كلبٌ واقفٌ
خارجَ البابِ
مُهرِّبانِ
أمامَ مصلحةِ الجماركِ
نساءٌ حمراواتٌ
عتّالونَ سُوْدٌ
إنَّهُ
يختبئُ خلف جسدِهِ
ويراقبُ، غريبٌ
يسافرُ خلسةً في لَيْلِنَا
غريبٌ يقولُ— أيُّ غريبٍ؟—
في الأضواءِ المُبتلَّةِ
يعودُ ذاعنًا
يُديرُ ساعةَ يدِهِ
خمسَ دقائقَ بعدَ التّاسعةِ مساءَ دمٍ حزينٍ
بعدَ المطر.

مَن يصرخُ طيلةَ اللّيلِ؟

رجالٌ ثَقُلَتْ أسماعُهم
والمرايا ثقيلةُ السَّمعِ أيضًا
أُشعلُ المصباحَ
أُطفئُ عودَ الثّقابِ
في الغرفةِ الأخرى
تتعرّينَ
أسمعُ هَمْهَمَةَ جسدكِ
شعركِ يتهدّلُ
مكتوبٌ ظلُّ الدّراجةِ الهوائيّةِ
على الجدارِ المُبتلِّ
وظلالُ المساميرِ تتطاولُ
على البابِ المُوصَدِ.

كومةٌ من قواريرَ فارغةٍ
أسفلَ شجرةِ الفِناءِ
لَمْ يَعُدِ السُّكارى
ثَمِلِينَ في هذهِ اللَّحظةِ
إنَّهم ينظرونَ خارجَ النّافذةِ
على القواريرِ أوراقِ الأشجارِ
الجبلِ الغيمةِ—
أكانَ سُكْرًا ذلكَ حقّاً؟
متى وأينَ؟
والأجسادُ المُبتلَّةُ؟
وكؤوسُ النّبيذِ الخمسُ؟
وأسدُ السّيركِ؟
باللّيلِ كُلِّهِ؟

المُشَرِّعُ المقاولُ
شرطيُّ المرورِ الفَتِيُّ
أعبرُ محترسًا
أراهمُ
لا ينتبهونَ إليَّ
وسطَ حشدٍ مِثلَ هذا الحشدِ
توقّفتُ عندَ شارةِ المرورِ الحمراءِ
ونظرتُ إلى كتفيكِ
فانهمرَ المطرُ
تابعتِ المسيرَ
ثمّ صعدتِ الدّرجَ
وحملتِ القفصَ
الذي فيهِ الببغاءُ الأزرقُ
ولكنَّني لَمْ أصعَد
وإنَّما نظرتُ.

جسدُكِ على الرَّملِ
الرَّملُ مُلتصِقُ بلحمكِ
رملٌ على يديَّ
وعلى لسانيَ رملُ
يَسْتَبِيْنُكِ
خلفَ الحائلِ الأَرَقِّ
مِن شَعرِنَا يسَّاقطُ الرَّملُ
وفي أعماقِ الصَّمتِ يَستقرُّ
ثمّ نهضنا مِن مياهِنا،

جميلَيْنِ وقد تغسّلنا للتوِّ،
إلى ضوءِ هذي الأرضِ
وجسدِهَا.

ذاك الذي يَدِبُّ في الجسدِ
على الجسدِ
مِن جسدٍ إلى جسدٍ
على الجبلينِ بالغميةِ الوحيدةِ
على الطّائرِ في الشّجرةِ
على عُشّ الطّائرِ
الذي مِن زغبٍ وقَشٍّ
ذاكَ الذي يَجعلُكِ: ***أنا موجودٌ***
الذي يَجعلُكِ: ***نحنُ موجودانِ***
الذي يُشبِّهكِ بالآخرِ
الذي لا يُشبِهُكِ، وحيدةً
في فِتنةِ الآخرِ
إيقاعًا وإيقاعًا
الحُبُّ
يا أخي العَدُوَّ
الحُبُّ.

أحمرُ أحمرُ غامقٌ
الأحمرُ—
اِطمسهُ بالأسودِ
نَعمْ بالأسودِ
أثقبِ الورقةَ
ألقِ في الثّقبِ
الدّبابيسَ والسكّينَ والأسودَ—
آهٍ أيّها الأحمرُ الذّبيحُ
آهٍ أيّتها الموسيقى العميقةُ.

في اليومِ السّابعِ
(الثّامنِ بالأحرى)
بعدَ رحيلكِ
(بعد موتي)
وُلِدَ رجلٌ
الهارمونيكا
وفراشةٌ
ليست حمراءَ
بل بيضاءَ
ذات بقعٍ سوداءَ صغيرةٍ—
لقد كنتُ حُرّاً.

جَسَدٌ عَارٍ

قالَ:
أُصوِّتُ للأزرقِ.
أنا، الأحمر.
وأنا.

*

جسدكِ جميلٌ.
جسدكِ مُطلَقٌ.
ضائعٌ أنا في المُطلَقِ.

*

اتّساعُ اللّيلِ.
اتّساعُ الجسدِ.
انقباضُ الرّوحِ.

*

طالما تتراجعينَ
أَدْنُوْ منكِ.

*

نجمةٌ

حرّقتْ مَنزِلي.

*

تُضيّقُني اللّيالي
في غيابكِ.
أتنفسُّكِ.

*

لساني في فمكِ،
لسانكِ في فمي—
غابةٌ معتمةٌ؛
لقد تلاشى الحطّابونَ
والعصافيرُ.

*

حيثُ قَد تكونينَ
أكونُ.

*

شفتايَ
تؤطّرانِ أُذُنكِ.
أُذنَكِ الرّقيقةَ الصّغيرةَ—
كيف لها أن تحتوي
كلّ هذه الموسيقى؟

*

مسرّةٌ حِسيّةٌ—
خلف الولادةِ،
خلفَ الموتِ؛
حاضرٌ نهائيٌّ
أبديٌّ.

*

ألمسُ أظافرَ أصابعِ قدميكِ.
كَمْ هُوَ العالمُ لا يُعَدُّ ولا يُحصى.

*

تحتَ جميعِ الكلماتِ
يتّحدُ جسدانِ
ويفترقانِ.

*

كيفَ يَتشكَّلُ العالَمُ كُلُّهُ
في بضعِ ليالٍ
وينهارُ.

*

اللّسانُ يلمسُ
أعمقَ من الأصابعِ.
مُتَوَحِّدًا يَصِيرُ.

*

الآنَ
بِأنفاسكِ
انتظَمَ خطويَ الواسعُ
ونبضي.

*

لَمْ يقتربْ بعضُنا مِن بعضٍ طيلةَ شهرَيْنِ.
قَرنٍ
وتسعِ ثَوانٍ.

*

ما جدوى النّجومِ
الآنَ وأنتِ هُنَا لَسْتِ.

*

بِحُمرةِ الدّمِّ
أنا.
أنا من أجلكِ.

*

ليسَ سوى اسمكِ
ثانيةً ومرّةً أخرى—
خرابيَ العميقُ،
ملاكيَ الحارسُ،

القصيدةُ.

*

لا بَيْتَ آخرَ لِي.
في جسدكِ أُقِيمُ.

*

كانَ أحمرَ
بخطٍّ أسودَ عموديٍّ.
سقطتِ التّفاحاتُ في النّهرِ
إنَّها تطفُو.
إنَّها ترحلُ.

*

كيف لوردةٍ
أنْ تَبزَّ
في اللّيلِ
قُنفذَ بحرٍ
بِلا قمرٍ؟

*

عاريانِ نقفُ
على الأقنعةِ.
ننتصبُ.

*

الأظفرُ على إصبعكِ الصّغيرِ
أكثرُ تَنَاهِيًا مِنَ البحرِ.
إلى أينَ تأخذينني؟

*

هائلاً يكبرُ
الّذي عَلَا عَنِ الوَصْفِ،
بِأفعالٍ عظيمةٍ يَقُومُ.

*

يُشَرِّدُنِي
جسدُكِ،
يَحتَوِيني.
أستلقي ثُمَّ أنهضُ
فيكِ.

*

تُدَوِّي
الأعضاءُ السِّرِّيَّةُ
خارجَ الزَّمنِ.
سُفنٌ بأضواءٍ
تأتي وتروحُ؛
لا تُطلِقُ صفّاراتها.

*

الحُبُّ،
الجرحُ العميقُ—
هذا ما حلمنا بهِ
نصفٌ في البراءةِ،
ونصفٌ في المُطلَقِ،
هُنَا.

*

كيفَ تُفضِي الأشياءُ كُلُّها إليكِ
المظلَّاتُ الحمراءُ المقابلةُ،
شجرُ الحَوْرِ الأحمرُ المقابلُ،
عصافيرُ الدُّوريِّ على الشّرفةِ،
المغسلةُ في الحمَّامِ—
شجرٌ مُحتجِبٌ، الهواءُ.

*

حيوانٌ ذبيحٌ
هُوَ السّريرُ.
دَمُنَا يَسِيلُ.

*

لِمَ كأسُ الماءِ المكسورةُ؟
لِمَ السِّتارةُ المَشْقُوقَةُ؟
وحذاؤكِ المبلولُ؟
أين؟

*

ثمّةَ ضَوءٌ
في النّافذةِ المقابلةِ.
تَتَعَرَّيْنَ.
دائمًا أنتِ.

*

السَّريرُ، السَّكائرُ،
جسدُكِ في كلِّ مكانٍ—
تمثالُ دَمِي.

*

أشعلُ أعوادَ ثقابٍ،
أقضمُ أظافري،
أثقبُ ملاءاتِ السَّريرِ.
أنتِ هُنَا لَسْتِ.

*

مَرّةً قُلْتِ:
أُحبُّ شَعركَ.
لقَد طالَ شَعري.
وغَطَّانِي.

*

شهرٌ موعودٌ.
يومٌ موعودٌ.

سآتِي— قلتِ—
أنتظرُ قُربَ البابِ.
والبابُ
مختومٌ بأختامَ كثيرةٍ.

*

هذهِ الأشياءُ الأقلُّ
التي مِن أجلنا نحنُ.
إنَّها عظيمةٌ.
جميعُها.

*

ليسَ إسمنتًا.
فارغًا،
تَعبُرُهُ
عارضةٌ مِن حَديدٍ.

*

ثيابُكِ
التي لا تزالُ دافئةً من جسمكِ
مطروحةٌ على أيِّ كُرسيٍّ؟
أين؟

*

القهوةُ، السّكائرُ،
الانتظارُ،

الانتظارُ، السّكائرُ،
عيناياَ أكثرُ زُرقةً.

*

في انتظاركِ
أنسى أنْ أنتبهَ،
أنسى أنْ أنتبهَ إلى نَفْسِي.
*

يحملني الحلمُ
بإحدى يديهِ
على كَتِفكِ أَميلُ.

*

جسدُكِ مُحتجِبٌ.
محسوسٌ.
عصفورانِ في إبطيكِ.
صليبٌ بين نهديكِ.
ولا شيءَ مِنَ الموتِ.

*

كَلَّا. كَلَّا.
ليستْ ذكرى الجسدِ
الجسدَ.
أعتصرُ
هَا قَدْ تَخُنَ الهواءُ.

*

تُماثِلِينَنِي
بِالتَّشَابُهَاتِ.
أعيدُ تشكيلَكِ
جُزءًا جُزءًا.
فَأنَا كَامِلاً لَمْ أُخْلَقِ.
*

قلتُ نافذةً.
لَمْ تكُنْ.
جيمعُ النَّوافذِ
مُشرعةٌ صوبكِ.

*

الواضحُ الصَّريحُ— كانَ يقولُ—
ينبذُ القصيدةَ.
فَلْيَكُنْ.
أُفضِّلُ جسدكِ.

*

الكرسيُّ.
إلى الأبدِ.
ساكنٌ لا يتحرَّكُ.
هُناكَ حيثُ جلستِ.

*

كنتِ تقولينَ:

أنا أنتَ، وأنتَ، وأنتَ.
وأنا؟
أنتِ.
ثُمَّ جئتِ.

*

كَرَّرْتُ اسمكِ
ألفَ مرّةٍ.
لَمْ أَقُلْكِ.
اسمُكِ لا يَتعبُ.

*

يومٌ مشهودٌ.
ثمّ جئتِ.
نارٌ ودخانٌ.
دخانٌ وليلُ.

*

السَّريرُ يحترقُ.
أجنحتُنا مِن لهيبٍ.
إنّها لا تحترقُ.

*

واحدًا واحدًا،
أصابعُ قدميكِ،
أصابعُ يديكِ،

شعركِ، أظافركِ،
ركبتاكِ، إبطاكِ،
الموتُ.

*

الشِّعرُ هاجعٌ.
وأنا
في بُقعةٍ معيّنةٍ من جسدكِ.
مُطوَّقًا تمامًا،
حُرًّا أَصِيرُ.

*

المنشفةُ الزّرقاءُ الكبيرةُ
الّتي نشَّفتِ نفسكِ بها في الصّباحاتِ،
هُنَاكَ، هُنَاك—
لَمْ أغسلها قَطُّ.

*

والآخرونَ— ماذا كانوا؟
لقد طالتْ كثيرًا لِحيَتي؛
غطّتْ صولجاني،
الصّقرَ،
وصدرَكِ.

*

يَا أَزرقِي، يا الّذي لي أنا وَحْدِي— قَد تقولينَ—

يا واحدي الأزرقَ.
نَعم، أنا أزرقُ.
أكثرُ زُرقةً من السّماءِ.
وحيثما تكونينَ
أُطوّقكِ.

*

أرفعُ المطرقةَ،
أشقُّ الهواءَ،
أصنعُ تمثالكَ
مفتوحًا،
أدخلُ فيهِ
وأبقى

*

كلّ نجمةٍ، كلّ ورقةِ أشجارٍ،
كلّ سيجارةٍ أشعلها،
كلّ خطوةٍ في الشّارعِ،
هِيَ خطوتكِ.
هُنَا أنتِ.
وفي المَجِيءِ تأخَّرتِ.

*

أَغْلِقْنِي— كنتِ تقولينَ—
أَغْلِقْ نفسَكَ.
اِكسرِ المشطَ.
أصابعُكَ تُمشِّطُنِي

مِنَ الدّاخلِ.

*

أتحسّسُ زوايا اللّيلِ—
مرفقكِ، ركبتكِ،
ذقنكِ.
حجارةٌ تتدحرجُ.
ولا ضجيجَ أبدًا.
أينَكِ؟

*

يدخلُ الجبلُ البيتَ،
يجلسُ على ركبتيَّ.
النّهارُ يُدخِّنُ.
والهواءُ هواؤكِ ثانيةً.
أبعدَ مِن ذلكَ— عَدَمُ.

*

تجيءُ ليالٍ أطولُ.
نباتٌ لاحمٌ
يلفُّ البيتَ
يلفُّ السَّريرَ.
شفتاكِ الغائبتانِ
تمُصَّانِي.

*

في صُلْبِ بيتِ الشِّعرِ
أنتِ وأنتِ.
أنفاسُكِ تملأُ
جميعَ الكلماتِ،
جميعَ الصَّمتِ.

*

تَرَكَتْ
كُلُّ واحدةٍ مِن إيماءاتكِ،
على الطَّاولةِ،
وفي الخزانةِ،
وتحتَ الوسادةِ،
صندوقَ موسيقى صغيرًا،
إنِّي وحيدًا أُنصِتُ.

*

طيلةَ اللّيلِ
اسمُكِ
يَصدحُ في فَمِي،
يَرتشفُ رضابي،
يَشرَبُني.
اسمُكِ.

*

عبرَ الهاتفِ
أسمعُكِ تطرحينَ
ثيابكَ واحدًا واحدًا
على الأرضِ.

ثُمَّ خاتَمكِ
أخيرًا.

*

كنتِ تستقلّينَ القطارَ.
لا تتأخّري— كنتُ أقولُ.
أسرِعَ، أسرِعَ.
فَتَقْسُوْ
حلمتا نهدَيْكِ.

*

ساعاتُ حوائطَ متوقّفةٌ،
يدايَ متوقّفتانِ
حولَ خصركِ.

*

في الصّباح الباكرِ الهاتفُ؛
جلبةٌ مِن حولي؛
عرباتٌ، أصواتٌ، مَسَامِكُ؛
درّاجةٌ هوائيّةٌ تسقطُ من على الجسرِ:
وفجأةً
في قلبِ الضّجيجِ
صمتٌ مُطلَقٌ
طافحٌ بصوتكِ.

*

السّريرُ فخورٌ.
رأيتُ اتّحادَنا
بِقَدْرِ مَا تبتعدُ غابةُ الدّببةِ العميقةُ
بالنَّهرِ الطّويلِ
والنُّسورِ الخمسةِ.

*

لا بيتَ شِعْرٍ آخرَ
أُضيفُهُ،
ولا كلمةً أخرى.
لقَد عشتُ في جسدكِ
كُلَّ الّذي كأنَّهُ الشِّعرُ.

*

سبرتُ الأعماقَ الّتي لا تُحَدُّ
بريشةِ زَغَبٍ رُبطتْ بخيطٍ—
لَمْ تهبطِ الرّيشةُ، ولكنَّها صعدتْ.
شفتاكِ.

*

حملتُكِ بينَ ذراعيَّ
ثُمَّ طرتُ.

*

جسدكِ
سماءُ.

لا طيرانَ
يُعْيِيْهِ قَطُّ.

*

كنتِ ترحلينَ.
إيْهِ— أصيحُ بكِ—
سأكسرُ هذي الكأسَ.
ضحكتِ.
لَمْ أكسرها.

*

طيورٌ، جبالٌ، ليالٍ—
كلُّ شيءٍ جميلٌ
أُناديهِ باسمكِ؛
يَسمعُنِي ويُجيبُ.

*

تدورينَ في دمي.
تملئينَ دمي.
إنّني أحتوي العالَمَ كُلَّهُ.

*

ليلٌ.
ألقينا مفاتيحَنا
مِن النّافذةِ.
التقطنا النّجومَ.

إنّنا ننفتحُ.

*

والأغصانُ
والصّواري
والمرساةُ.
وأنتِ في الحديقةِ
خلفَ التّمثالِ.

*

يومٌ جميلٌ—
لا أستطيعُ احتمَالهُ
لأنّكِ هُنَا لَسْتِ.

*

دمٌ هُوَ الشَّفقُ،
دمٌ هُوَ اللَّيلُ،
دمٌ هُوَ الوَرْدُ.
وأنتِ— دَمُ.

*

كلٌّ واحدٍ مِنَّا في مكانٍ آخر،
معًا نحنُ ومُفترقانِ؛
أمسكُ يدَكِ؛
إنّها تمسكُني.
حينَ يأتي الرّبيعُ—

*

أخلعُ معطفي،
ألقيهِ على كتفيكِ.
في جيبهِ اليُمنى
حجرٌ أبيضُ مِن غيرِ سُوءٍ،
دِفءُ.

*

في أبياتِ الشِّعر القصيرةِ
أشياءُ هائلةٌ تَحتَجِبُ.
لَمْ تُلفَظْ بَعْدُ.
تَعرِفينَ [ذلك].

*

ورقةُ شجرٍ،
سيگارةٌ،
قُبلةٌ.
آهِ يا عالَمِي الحبيبَ.

*

عارٍ جسدُكِ،
أَصِيلُ—
جوابٌ نهائيٌّ
عَلى لا شيءَ.
تعالي.

*

خمسُ كؤوسِ ماءٍ
تُمْلَأُ، تُفْرَغُ.
أضربُها بقلمِ رصاصٍ—
صوتٌ إثرَ صوتٍ
هُوَ التّاريخُ.

*

رغبتُ في الحديثِ عنها في مكانٍ ما،
في أنْ أُقاسمها—
كانتْ هائلةً.
لم أتحدّث عنها.
مُختنِقًا كبرتُ.
ووحيدًا.

*

نَمْ في حِضْنِيَ
— كنتِ تقولينَ؛
وكنتُ أُبدّدُ اللّيلَ
على صدركِ.

*

كَمْ عاليًا ترفعُني
قُبلاتكِ.
لقد ضعتُ.

أُحضنيني.

*

الآنَ
السّماءُ
أرضي.
أرضيَ الواسعةُ
السَّماءُ.

*

في جسدكِ
أُولَدُ وأموتُ
ثُمَّ أُولَدُ.

*

رميتِ ملاءاتِ السّريرِ،
فتحتِ النوافذَ،
فامتلأنا بالنُّجومِ.
فراشةٌ ذهبيَّةٌ
على شَعركِ.
*

كنتِ دائمًا تأتينَ
بأزهارٍ بين ذراعيكِ.
وكنتُ أنتظرُ
الزّهورَ وأنتِ.
مَا الذي انتابَ الحديقةَ؟

*

ليلُ.
المقعدُ الحجريُّ الطّويلُ
قُربَ البحرِ.

*

تخلعين صندلكِ.
سفينةٌ لامعةٌ بالأضواءِ
كانتْ ترحلُ.

*

الشَّميمُ المُباغِتُ
لِلزَّعترِ البريِّ النَّدِيِّ.
أَريتُكِ القمرَ الصّغيرَ
على التَّلِّ.
لَمْ نتكلَّمْ.
تكاثرَ الكلامُ
كلمةَ شُكْرٍ واحدة.

*

كلُّ مَا أَلمسُ،
الورقُ، الطَّاولةُ، كأسُ الماءِ،
هُو أنتِ الذي أَلمسُ.
يدايَ
تتشبَّثانِ بِصَدركِ.

أنا لا أقودُ يديَّ.

*

أيّامٌ، ليالٍ،
خُلِقَتْ مِنْ نارٍ،
زجاجُ نوافذَ مكسورٌ،
أبوابٌ مُوصَدةٌ.

*

وردةٌ هائلةٌ
تنهضُ بِلا صُحبَةٍ
في العتمةِ.

*

ثمّةَ طَرْقٌ على البابِ.
يرنُّ الهاتفُ.
لا شيءَ.
لسنا هُنَا.
نحنُ غائبانِ.
والمطرُ المُتآمِرُ.

*

شكلُ جسدكِ
صلصالٌ
في راحتيَّ.
جَرَّةً يَصِيرُ،

قارورةَ عطرٍ،
تسعةَ تماثيلَ
ونَسرٍ.

*

تُوغِلُ يدايَ
في تذكُّرِكِ أكثرَ مِنَ الذَّاكرةِ.

*

تُنكِرُ الأجسادُ
الكلماتِ.
إنّها تتخاطَبُ
عاريةً وخرساءَ.
تمثالا أبي الهَوْلِ الحجريَّانِ
ينظرُ بعضُهما إلى بعضٍ.
يتدَّفقُ من شفاهِهما
الماءُ اللَّازَوَرْدُ.

*

نتعرّى.
أغلقنا البابَ وحجَبنا
البيوتَ، الكلابَ،
الحدائقَ، التّماثيلَ،
الموتْ.

*

أتعرفين؟
حبّتا الكستناءِ
لا تزالانِ هُنَاكَ
على الطّاولةِ العاريةِ.
أُحبّكِ.

*

كيف يحيا الموتى
بِلا حُبٍّ؟

*

فُجُورٌ فَاحِشٌ.
مدنٌ تهوي،
أصحنةٌ تعدو،
أعمدةُ مصابيحَ تسقطُ،
بِلاً صَوتٍ، بِلا صَوتِ.

*

تَمُصِّينَ إبهامي—
طفلٌ قَد أُطْعِمَ الآنَ،
وقَد أُطْعِمْتُ.

*

لا أهاتفكِ.
أنا صامتٌ عنكِ.
أنا أنتِ.

في اللّيلِ
حينَ تُفرَغُ المُتنزَّهاتُ،
أُكلِّمُ التّماثيلَ.

*

أحفرُ بيديَّ،
بشفتيَّ،
بعينيَّ.
الجدارُ ساكنٌ،
هُناك.

*

حاربتُ الشّجرةَ.
قطعتها.
كثيرة كانت أوراقُها.
غَطَّتْنِي.

*

أوديسيوس— كنتِ تقولينَ—
وبينلوبي،
كانا لَازَوَرْدِيَّيْنِ.
كانتِ الطّاولةُ حمراءَ،
وأحمرَ كانَ السَّريرُ.
وعلى القماشِ المُشَجَّرِ المحبوكِ،
مُلتفّاً بألفِ طيّةٍ،
يتمدّدُ السّيفُ الكبيرُ.

*

كانتْ حربٌ،
وكانَ حُبٌّ.
ذبيحانِ نحنُ.
كوَّمنا المذبوحينَ.
جرّدناهم مِن ثيابهم.
واستلقَيْنا

*

كنتِ تقولينَ:
أُحبُّ شَعركَ،
أظافركَ،
لسانكَ.
وفي الممرِّ المرصوفِ،
في العتمةِ،
يُسمَعُ وَقْعُ خُطَى
الحَرَسِ.

*

نسيتِ شمسيّتكِ
في القطارِ.
هَلْ كنتِ، حينئذٍ، تُفكِّرينَ فِيَّ؟
مبلولاً كانَ شعرُكِ.
سَرَّحتُهُ
ثُمَّ وضعتُ المشطَ
تحتَ القصيدةِ.

*

نتناوبُ
على قضمِ التفَّاحةِ غيرِ المُقشَّرةِ
الأشدِّ حُمرةً.
كَمْ هِيَ بيضاءُ أسنانُكِ.
وكَمْ هُوَ أحمرُ الحلُمُ.

*

غيمةٌ هِيَ القصيدةُ،
بَلْ رُبَّما هِيَ الضَّوءُ،
ليسَ لها جسدٌ.
في جسدكِ أُوجَدُ.

*

حيثما تكونينَ،
أنتِ قُربي.
أشدُّ حزامكِ
حول خصري.
يا كبريائيَ العميقةَ.

*

كلُّ الذي قُلنَاهُ
وكلُّ الذي لمْ نَقُلْهُ
يشدُّ عضدَ القصيدةِ.
وعلى القَوْصَرةِ
سروةٌ شاهقةٌ

بينَ
حصانَيْنِ مِنَ المَرمَرِ.

*

أشرقتِ الشّمسُ
على كتفِ الطّائرِ.
لقد رأيناها سَوِيَّةً.
تبسَّمنا.
ثمّ عَثَرَتْ يدُكِ على طريقِها
إلى يدي.

*

يتبعُني
البيتُ الذي سكنَّاهُ.
ولكنَّني
رأيتُ على يَمينِ الطّريقِ
غابةً،
بنفسجيّةً وذهبيَّةً.
وحُزنًا
لأنّكِ لَمْ تَرَيْنَها.

*

مقابلَ البابِ الزُّجاجِ
الجبلُ الذي تُغَطِّيهِ الثُّلوجُ.
كم دافئةً كانتْ يداكِ
ونهداكِ.

*

بينَ البيوتِ،
أشجارُ برتقالٍ.
وهجٌ ذهبيٌّ البرتقالُ.
لَازَوَرْدٌ الجبلُ الشّاهقُ.
يا للذَّهبِ واللَّازَوَرْدِ،
لَوْ أستطيعُ أن أراهما في عينيكِ.

*

مِن النّافذةِ العاليةِ أرى
رجالاً، بيوتًا، حدائقَ،
وقوسَ قزحٍ،
جَرَّارَ برتقالٍ،
قطّةً،
قوسَ قزح آخرَ.
أنتِ؟

*

مربوطةٌ بجسدكِ
جبالٌ وأشجارٌ،
غيومٌ،
والبحرُ القديمُ.
جسدكِ يحتشدُ—
جسدٌ فحسبُ.
جسدي.

*

لو نظرنا إليها مَعًا
لكانتْ أكثرَ جمالاً—
أوراقُ أشجارٍ حمراءُ،
تلّةٌ خضراءُ،
بابُ حديقةٍ،
والمطرُ.
ولكنْ حِينَ نكونُ مَعًا
لا نرى شيئًا.

*

منذُ البَدْءِ تَهَجَّيْتُ
الموسيقى واضحةً معكِ—
do, re, mi
عكستُ الحروفَ:
imerod—
لقد وجدتُ الموسيقى التي اتكلَّمُ بِهَا معكِ
دونَ أنْ تُسْمَعَ نَفْسِي.

*

أُسمّيكِ Imerod :
أشقُّ ثوبكِ،
أصعدُ الدَّرجَ،
وبِلا ماءٍ أذهبُ.

*

في أحضانِ مِثلِ ذلكَ التَّعَبِ

جَشَعُ يدَيْكِ.

*

كمْ بعيدًا ينبغي أن تنحنِي
كي تجدي جذركِ،
كي تنغلِقَ الدّائرةُ؟
لَنْ تَنغلِقَ.
ليستْ دائرةً:
لَوْلَبُ.

*

يحدثُ في بعضِ الأحيانِ أنْ يتصادفَ
البَهِيُّ والشَّائنُ
في النَّبضِ ذاتهِ.
لا يُفرِّقُ
الحُبُّ.

*

بحرٌ رابطُ الجأْشِ
مِن زُرقةٍ عميقةٍ
أضاءَ وجهكِ.
لقد طردتِ الشّمسُ
جميعَ الموتى بعيدًا.

*

بنفسجٌ بريٌّ،

أقحوانٌ بريٌّ،
بَرْوَقُ[2].
بِدَمي
على الصّخرةِ
الجَرّةُ المرمرُ.

*

وفيما بَعْدُ
شيءٌ قاسٍ وحَيٌّ
يَظَلُّ.
فوقَ سُفُنٍ محطَّمةٍ
سلطعوناتٌ تَدِبُّ.

*

مرَّ صائدو الأسماكِ
بسلالٍ فارغةٍ.
وعلى رُكبتَيْكِ
مَرِحًا طَفَرَ القمرُ.
لَمْ أعُد أُفرّقُ
بينَ الشَّاغرِ والمأهولِ.

*

خَبَطَ صدرانا بالّذي
لا يُعْبَرُ.

[2] Asphodels. ورد في *القاموس المحيط* أنّ البَرْوَق: "شُجَيْرَةٌ ضعيفةٌ، إذا غامَتِ السماءُ اخْضَرَّتْ". (المترجم).

*

حَرُّ الظّهيرةِ،
أحجارُ **مُوْنُوْقَاسْيَا**،
الحصى الأبيضُ
والتِّينُ الشَّوكيُّ المُخِيفُ
في مثلِ هذا الموقفِ الطُّفوليِّ—
حينَ كنتِ تخلعينَ ثيابكِ.

*

والتّكرارُ
تجديدُ.
شعرُكِ
المُلقَى إلى جهةٍ
بطريقةٍ أخرى يتكلَّمُ.

*

هناكَ حيثُ أنتِ،
هل تسمعينَ القطار؟
لقَد مَرَّ.
اشتريتُ برتقالاتٍ.
إنَّها تمطرُ.

*

وحينَ أرحتِ يدكِ
على ركبتي أوْ كتفي
أوْ على خصري
غيَّرَ العالمُ مكانَهُ.

*

يطولُ الوقتُ،
تتطاولينَ.
ساكنةٌ صورتكِ
على الجدارِ الدّاخليِّ.

*

أُنصِتُ.
شيءٌ يتقصَّفُ
في الغابةِ، في زجاج النّافذةِ،
في المرآةِ.
أنكونُ ذاتَ نَفْسَيْنَا
حينَ نلتقي ثانيةً؟

*

وثمَّةَ بالطَّبعِ
ألوانٌ أخرى
وأماكنُ أخرى.
في عِزِّ حلُمي
أتذكَرُ.
فأستيقظُ.

*

لا بَدْرَ
حتَّى في هذهِ اللَّيلةِ
ثمَّةَ قطعةٌ ناقصةٌ.
قُبْلَتُكِ.

*

حركةُ يدكِ
حينَ تعرَّيْتِ—
عصيَّةٌ على المَحْوِ.
في مرآةِ الرَّواقِ
تسعةُ مصابيحَ
مُسَمَّرةٌ إلى الجدارِ.

*

هذا الخوفُ—
أنْ يكونَ شيءٌ قَد ظلَّ
لَمْ آخذَهُ.
وخوفُ
أنْ قَد يكونَ المُطلَقُ
لا نِهَايةَ لَهُ.

*

يا للغرابةِ—
الأنوارُ تَخبُو،
وأضواءُ ڤترينةِ المتجرِ تنطفئُ.
وقبلَ أنْ يهبطَ اللّيلُ،
يطلعُ الفجرُ.

*

الحركةُ ثانيةً،
حركةُ البيوتِ، الشّوارعِ.
خضراءُ، حمراءُ،

خضراءُ، حمراءُ.
ليستْ حمراءَ فحسبُ.
لقد أخذَ شرطّيو المرورِ
أماكنَهُم.

كلامٌ شهوانيٌّ

I

نومٌ شهوانيٌّ، بعدَ الوصالِ. ملاءاتٌ مُبلّلةٌ بالعرقِ
تتدلّى منَ السّريرِ إلى الأرضِ. أسمعُ في نوميَ
النّهرَ الجبّارَ. في إيقاعٍ يتلكّأُ. جذوعُ أشجارٍ هائلةٍ
تتدحرجُ معهُ. في أغصانها ألفُ عصفورٍ
يجثمُ ساكنًا، يرتحلُ مع نشيدٍ طويلٍ
مِن ماءٍ وأوراقِ أشجارٍ، قطعَتِ انشيالَهُ النّجومُ. أُمرّرُ
يدي بخفّةٍ أسفلَ عنقكِ، خائفًا
أن أقطعَ نشيدَ العصافيرِ في نومكِ. غدًا في العاشرةِ،
حينَ تفتحينَ مصراعَيِّ النّافذةِ، وتندفعُ الشّمسُ في الغرفِ،
سوفُ تُرَى العَضَّةُ فوقَ شفتكِ السُّفلى أكثرَ وضوحًا في المرآةِ
ويستحيلُ البيتُ أحمرَ زاهيًا، كلُّ شيءٍ مُرقّطٌ
بزغبٍ ذهبيٍّ وأبياتِ شعرٍ قصيّةٍ لَمْ تَكتَمِلْ بعدُ.

II

عُدتِّ مِنَ السُّوقِ ضاحكةً، تحميلنَ
خبزًا، وفاكهةً، وباقةَ أزهارٍ كبيرةً. مرَّرَتِ الرّيحُ— إنّيَ أُبصرُ—
أصابعَها في شَعركِ. أقولُ لكِ مرّةً أخرى:
أنا لا أحبُّ الرّيحَ. ما حاجتكِ بكلِّ هذهِ الأزهارِ؟ أيَّهنَّ
رماها الزَّهَّارُ إليكِ؟ لعلَّ صورتكِ
قَد ظلّتْ في مرآتهِ، جُنباتٌ مضاءَةٌ
ببقعةٍ زرقاءَ فوقَ ذقنكِ. أنا لا أُحبُّ الزّهورَ. فوقَ صدركِ،
يستلقي بُرعمٌ كِبَرَ النّهارِ كلّهِ. حسنًا إذن! إجسلي قُبالتي؛
أريدُ أن أنظرَ إلى منحدرِ ركبتيكِ قُربي، وحيدًا، حينَ أُدخّنُ
حتّى يهبطَ اللّيلُ خُفيةً، ويتوقَّفُ، مُنجذبًا، فوقَ سريرَيْنا
قمرُ أرضٍ سُفليَّةٍ، قمرُ ليلةِ سَبتٍ بِكَمَانٍ، ومزمارٍ، وسَانْتُوْرِي.

III

ما زلتُ نائمًا. أسمعكِ تنظّفينَ أسنانكِ بالفرشاةِ في الحمّامِ. ثمّةَ في هذا الصّوتِ
أنهارٌ، وأشجارٌ، وجبلٌ بكنيسةٍ بيضاءَ صغيرةٍ،
وقطيعُ خرافٍ في العُشبِ (إنّي أسمعُ الأجراسَ)، حصانانِ أحمرانِ،
ورايةٌ على شُرفةِ البُرجِ، وعصفورٌ فوقَ المدخنةِ؛
ونحلةُ عسلٍ تئزُّ في وردةٍ— الوردةُ ترتعشُ—
آهٍ، كم سيطولُ الوقتُ بكِ! لا تُسرّحي شعركِ الآنَ،
فَإنّي نائمٌ، أقولُ لكِ، في انتظارِ فمكِ. لا أريدُ
رائحةَ النّعناعِ في رُضابكِ. وحينَ أستيقظُ
سألقي أسفلَ المَنْورِ كلَّ أمشاطكِ، دبابيسَ شَعركِ، وفراشي أسنانكِ.

IV

ذاتَ يومٍ سوفَ تسألني القصائدُ الّتي عشتها في الصّمتِ
فوقَ جسدكِ عن أسمائِها، حين تكونينَ قد رحلتِ.
ولكنّني سوفَ أكونُ بلا صوتٍ أكلّمها بهِ. لأنّكِ اعتدتِّ
المشيَ حافيةً في الغُرفِ، ثمّ تحتشدينَ في السّريرِ،
بَلْبَلَةً مِن زغبٍ، وحريرٍ، ولهبٍ ضارٍ. تشبكينَ يديكِ
حولَ ركبتيكِ، سامحةً لأخمصَي قدميكِ الورديينِ المُغْبَرّينِ
أنْ يتمطّيا باستفزازٍ. تَذكّرني، هكذا، كنتِ تقولينَ؛
هكذا تذكّرني، بقدميَّ المُعفّرتين، بشعريَ
المتهدّل فوق العينينِ— ذاكَ أنّي بعُمقٍ هكذا أراكِ. حسنًا إذن!
أنّى ليَ الصّوتُ؟ لمْ يَمْشِ الشّعرُ أبدًا على هذهِ الشّاكلةِ
أسفلَ شجرِ التّفاحِ المُزهرِ أبيضَ من غيرِ سُوءٍ في أيِّ جنةِ عَدْنٍ.

V

حينَ لا تكونينَ هنا، لا أعرفُ أينَ أنا. يفرغُ البيتُ نَفْسهُ. تُرفرفُ
السّتائرُ خارجَ النّافذةِ. مفاتيحٌ على الطّاولةِ. وعلى الأرضِ،
مفتوحةٌ حقائبُ سفرٍ من رحلاتٍ عتيقةٍ، بأزياءَ غريبةٍ
لفرقةِ مسرحيّينَ كانتْ ذاتَ أمجادٍ مرّةً ثمّ تفرّقَ شملُها؛
وذاتَ ليلةٍ انتحرت على خشبةِ المسرحِ الممثّلةُ الرّئيسةُ الجميلةُ.
حينَ لا تكونينَ هنا، يركضُ الجنودُ في الشّوارعِ خارجًا، وتصرخُ نساءٌ؛
تدمدمُ الحافلاتُ الثقيلةُ؛ تصفرُ صفّاراتُ الإنذارِ؛
تأتي سيّاراتُ الاسعافِ وتتوقّفُ؛ ممرضاتٌ بثيابٍ بيضاءَ
يُلَمْلِمْنَ الجرحى منَ الإسفلتِ، يُلَمْلِمْنَنِي أيضًا،
ثمّ يَحملنَنِي إلى مستشفىً أبيضَ طاهرًا بلا أسرّة؛
أُغلقُ عينيَّ كطفلٍ مُطوَّقٍ بالبياضِ الخَطِرِ. ظلَّتْ
ممرضةٌ في الحديقةِ قُربَ النّافورةِ؛ إنَّها تنحني وتجمعُ
بعضَ أزهارٍ بيضاءَ نَفَضَتْها الرّيحُ عن أشجارِ السَّنْطِ. ثمّ هناكَ— ينفتحُ البابُ،
فتدخلينَ بِسَلّةٍ— تفوحُ رائحةٌ عذبةٌ من الكُمثّراتِ النّاضجةِ.
أَنائِمٌ أنتَ؟— أسمعُ صوتكِ يقولُ. أتنامُ وحدكَ؟ ألستَ في انتظاري؟
أفتحُ عينيَّ. وهَا هُوَ البيتُ. وهَا أنا ذَا. والأريكتانِ.
أريكتان حمراوان. وأعوادُ ثقابٍ على الطّاولة.
أيّها الضّوءُ الأبيضُ النّاصعُ. أيّها الدّمُ الأحمرُ، أيّها الحُبُّ، أيّها الحُبُّ.

VI

دائمًا في الصّباحِ أنا أكثرُ تعبًا منكِ،
ربّما أكثرُ سعادةً أيضًا. تنهضينَ بلا ضجيجٍ؛
ملاءاتُ السّريرِ تَخِفُّ قليلاً؛ تمضينَ حافيةً.
ما زلتُ أواصلُ نومي في الدّفءِ الذي تركَهُ جسدكِ العاري
فوقَ السّريرِ. أنامُ في شكلِ
جسدكِ، غارقًا في عتمةٍ ضاربةٍ إلى البياضِ. أسمعُكِ
تغتسلينَ، تعدّينَ القهوةَ، تنتظرين.
أسمعكِ تَقِفينَ فوقي، حائرةً. ابتسامتُكِ
تقطعُ جسدي كلّهُ. تُلِينُ أظافري. أنامُ.
أشرعةٌ بيضاءُ ناصعةٌ تلمعُ ساكنةً. بطّانيةٌ حمراءُ
تتدلّى على حبلِ الغسيلِ. الأحمرُ ثُقِلُ أهدابي.
نساءٌ عارياتٌ في النّهرِ. رجالٌ عراةٌ في الأشجارِ.
أحصنةٌ مَهيبةٌ (ليستْ حزينةً) تمشي الهوينى في مياهِ البحرِ الضّحلةِ. أَنْعَظَ أحدُها،
فكادَ أن يطأَ الماءَ غُرْمُوْلُهُ الأسودُ. فتاةٌ تنتحبُ.
ينقشُ الصبيُّ بمديةِ جيبهِ الرّقم
بمديةِ جيبهِ ينقشُ الصّبيُّ الرّقمَ 99 على شجرةِ تُوتٍ،
ثمّ يضيفُ 9 أخرى. أنامُ عميقًا أكثرَ، أكثرَ في الدّاخلِ.
عصفورٌ يجثمُ على لُبدةِ أسدٍ أبيضَ. Tir, tir — يصيحُ. العالمُ
نَضِرٌ ومنيٌّ وافرٌ ونُورٌ. عمتَ صباحًا أيّها الحُبُّ، عمتَ صباحًا.

VII

أخذتِ منّي كلَّ شيءٍ. لَنْ يظلَّ للموتِ أيَّ شيءٍ يأخذهُ.
داخلَ جسدكِ أتنفّسُ. بذرتُ ألفَ صبيٍّ في حقلكِ المبلولِ بالعرقِ؛
ألفَ حصانٍ تخبُّ على الجبلِ، تجرُّ وراءها أشجارَ تنّوبٍ مُجتثّةً؛
تهبطُ صوبَ ضواحي القريةِ، رفعتْ رؤوسها،
تفرّستْ بعيونها اللّوزيّةِ السّوداءِ في الأَكْرُوْبُلِس، في الأضواءِ الطّويلةِ للمصابيحِ،
تفتحُ أهدابَها القصيرةَ ثمّ تغمضها. تأخذها أضواءُ إشاراتِ المرورِ الخضراءُ والحمراءُ
إلى حيرةٍ نزقةٍ. شرطيُّ المرورِ هذا يحرّك يديهِ كما لو يحصدُ ثمرةً محجوبةً من اللّيلِ
أو يقبضُ على نجمٍ من ذيلهِ. تُديرُ ظهورها
كما لو أنَّها قَد هُزمتْ في معركةٍ لمْ تُخَضْ أبدًا. ثمّ فجأةً
تهزّ أعرافها مرّةً أخرى وتَخُبُّ صوبَ البحرِ. كنتِ على صهوةِ أكثرها
بياضًا، عاريةً. صِحْتُ بكِ. يُطوّقُ
نهديكِ بالعَرْضِ غُصَيْنَا لبلابٍ. حلزونٌ
يستلقي ساكنًا فوق شعركِ. أَصيحُ بكِ: يا حُبّي. ثلاثةُ مقامرينَ، مستيقظينَ طيلةَ الليلِ،
يدلفونَ إلى حانوتِ حليبِ الحيّ. إنَّ النهارَ ينبلجُ.
تنطفئُ أنوارُ المدينةِ. وألوانُ الطَّيفِ الهائلةُ الشَّاحبةُ تنهمرُ ناعمةً
فوقَ جلدكِ. إنِّيَ فيكِ. أصرخُ من داخلكِ. أصرخُ عليكِ

هُنَا حيثُ صاخبةً تحتشدُ أنهارٌ وتتدحرجُ السّماءُ
في الجسدِ الآدميِّ، رافعةً معها
مخلوقاتٍ وأشياءَ فانيةً —بطّاً بريّاً، نوافذَ، جواميسَ،
صنادلكِ الصّيفيّةَ، إحدى أساوركِ، قنفذَ بحرٍ، يمامتينِ—
صوبَ الأراضي المفتوحةِ من خلودٍ لا يُفسَّرُ أو يُنشَدُ.

VIII

لا أريدُكِ أن تصعدي السّلالمَ الرّخاميّةَ للمستشفياتِ. لا أريدُكِ أن تَقِفي
أمامَ البابِ نصفِ الموصدِ لغرفةِ العمليَّاتِ الجراحيّةِ— لحمٌ مُمزَّقٌ، دمٌ—
إنّها ليستْ دورةَ طمثكِ التي تدوم 27 يومًا، مع أنّ ذلكَ أيضًا يجعلني أتراجعُ، يَعوقُني،
يَفتِنُني. خُلقَ الدّمُ كي يَسري خفيّاً في العروقِ، كي يُسمَعَ في اللّيلِ،
قلبًا إلى قلبٍ، كالموسيقى على الأرضيّةِ في الأسفلِ حيثُ كانَ زوجانِ أُخريانِ
يتهيّأانِ لتعميقِ حبّهما بالموسيقى. لا أريدكِ
أن تطوفي هذهِ الأروقةَ التي برائحةِ
اليُودوفورم، برائحةِ الكافورِ والموتِ. لا أُريدكِ أنْ تكوني
ممرضةَ أحدٍ، ولا حتّى ممرّضتي أنا. لا أريدكِ أن تعتني
بالمُقعدينَ، التّماثيلِ المبتورةِ والقُمْريّةِ
التي هشّمَ الخُرْدُقُ جناحها الأيمنَ. لا أريدُ لابتسامتكِ
أنْ تهبطَ على الأجسادِ العاريةِ المذبوحةِ، حتّى ولو كانت أجسادَ رفاقي. تَصِيرُكِ
إذْ تَبقِينَ ساكنةً في صِبَاكِ، أوْ تأتينَ ببضعِ حركاتٍ
تظلُّ ساكنةً في فمكِ، أو ببضعةِ حركاتٍ
كي تُهيمِني على الأمواجِ أمامَ السّريرِ، أو تُسَرِّحينَ عل الأغلبِ
شعريَ المُبتَلَّ بأشكالٍ جميلةٍ، بهيجةٍ من صنعكِ يديكِ، أو حتّى حينَ
تُحضرينَ الصّينيّةَ الكبيرةَ بالشّاي كلّ صباحٍ كما لو كنتِ تُحضرينَ

قيثارةً، بلا أيِّ نِيَّةٍ للعزفِ، فالقيثارةُ
تعزفُ من تلقاءِ نفسها كلّما رفعتُ عينيَّ نحوكِ. لأنّ — كما تعرفينَ—
على الجوهرةِ ناريّةِ اللّونِ للخاتم الذي أعطَيْتِنِيْهِ تلمعُ
مدينةٌ مضاءةٌ بفوانيسَ خضراءَ. في جادّاتها
يُدوّمُ راقصونَ صغارٌ بفوانيسَ قُرمزيَّةٍ ورقيّةٍ وأزهارِ أقحوانٍ،
ومنَ الشّرفةِ يَرشُّ شابٌّ شعورَهُمُ بقصائدي الممزّقةِ.
لهذا أُقلِّبُ جوهرةَ الخاتمِ، كي أضغطها
بكفي حتّى لا تستطيعَ عينُ غريبٍ حسودةٌ أو بريئةٌ
أنْ تسحرَ هذي السّعادةَ التي لا تنفدُ فِيَّ، خارجَ الزّمنِ،
ذاكَ أنّا في الصّباحِ التّالي ربَّما لنْ نعثرَ على الأيائلِ الثلاثةِ مقتولةً في المصعدِ.

IX

كم أنتِ جميلةٌ. إنَّ جمالكِ يُفزعني. أَجوعكِ. أَظمَؤُكِ.
أُناشدكِ، احتجبي؛ احتجبِي على الكُلِّ، ولا تتجلِّي إلاّ لِي أنا وحدي. مُغطّاةً،
من رأسكِ حتّى أخمصَي قدميكِ، بحجابٍ مُعتمٍ، شفّافٍ
مُرقّطًا بتنهيداتٍ فضيّةٍ من أقمارِ الرّبيعِ. مسامُكِ تبعثُ
حروفَ علّةٍ، حروفًا ساكنةً مُشتاقةً؛ لقد لُفِظَتْ كلماتٌ سريّةٌ،
انفجاراتٌ ورديّةٌ مِن مطارحةِ الغَرامِ. حجابُكِ يعلو، يلمعُ
فوقَ المدينةِ التي أدركها الليلُ بحاناتها خافتةِ الإنارةِ، أماكنِ البحّارةِ المألوفةِ؛
كشّافاتٌ خضراءُ تُنيرُ ليلَ الصيدليّاتِ، كرةُ زجاجٍ
تُدوّمُ مُسرعةً تَبِينُ عن صورةٍ لكوكبِ الأرضِ. السكّيرُ يترنّحُ
في عاصفةٍ هبّتْ مِن أنفاسِ جسدكِ. لا تذهبي. لا تذهبي. واضحةً جدّاً، ومراوغةً. ثورٌ
حجريٌّ يثبُ من القَوْصَرَةِ فوقَ العشبِ النّاشفِ. امرأةٌ عاريةٌ تصعدُ السلّمَ الخشبيَّ
حاملةً طَسْتَ ماءٍ ساخنٍ. يُخفي البخارُ وجهها. عاليًا، في الهواءِ،
مروحيّةُ استطلاعٍ تَسُفّ مواضعَ عشوائيّةً. احترسِي.
إنّهم يطلبونكِ. اختبئِي عميقًا أكثرَ في يديّ. يكبرُ فَرْوُ
البطّانيّةِ الحمراءِ التي تُغطّينا ويكبرُ حتّى
يصيرَ دُبَّةً حُبلى. تحتَ الدُّبَّةِ الحمراءِ
نتطارحُ الغرامَ إلى الأبدِ، أبعدَ من الزّمنِ، وحتَّى أبعدَ منَ الموتِ،
في اتّحادٍ كونيٍّ مُتوحِّدٍ. كم أنتِ جميلةٌ. إنَّ جمالكِ يُفزعني.
وأجوعُكِ. وأظمؤُكِ. وأمجّدكِ: احتجبِي.

X

كلُّ الأجسادِ التي لمستُها، رأيتُها، نِلتُها، حلمتُ بها — كلّها—
تكاثفتْ في جسدكِ. آهِ، يا **دِيُوْتِيْمَا**[3] الشّهوانيّة
في سِمْبُوزْيَمِ[4] الإغريقِ العظيمِ. لقد رحلَ عازفو المزاميرِ،
رحلَ الشّعراءُ والفلاسفةُ. والشّبابُ الوسيمونَ للتوِّ قد ناموا
بعيدًا في غرفِ نومِ القمرِ.وحيدةٌ أنتِ
في ابتهالِيَ الصّاعدِ. صندلٌ أبيضُ
بسيورٍ بيضاءَ طويلةٍ رُبِطَ إلى رجلِ الكرسيِّ. أنتِ نسيانٌ مُطلقٌ،
ذاكرةٌ مُطلقةٌ أنتِ. أنتِ رِقّةٌ لا تنكسرُ. إنَّ النّهارَ ينبلجُ.
إجّاصاتٌ شوكيّةٌ مُكتنزةٌ تَشْطَأُ من الصّخورِ. شمسٌ ورديّةٌ
تستلقي ساكنةً فوقَ بحرِ **مُوْنُوْقَاسْيَا**[5]. ظلّنا الثّنائيُّ
بَدَّدهُ الضَّوءُ على أرضيّةِ الرّخامِ بسكائرها الكثيرةِ المُداسَةِ،
بأزهارِ ياسمينها الصّغيرةِ المُعلّقةِ على إبَرِ الصّنوبرِ. آهِ، يا **ديوتيما** الشّهوانيّة،
يا مَنْ وَلَدتِني ويا مَنْ وَلدتُكِ، آنَ أنْ نَلِدَ الأدوارَ والقصائدَ، أنْ نمضي في العالمِ. ولا تَنسَيْ،
حينَ تذهبينَ إلى السّوقِ، أنْ تشتري كومةَ تفّاحٍ،

---

[3] لعبت دورًا مهمّاً في محاورات أفلاطون. يقول سقراط أنّ ديوتيما كانت عرّافة وكاهنة علّمته، في شبابه، فلسفة الحُبّ، وأنّها من أقنع الآلهة تأجيل الطّاعون الذي ضرب أثينا عشر سنين. (المترجم).

[4] اجتماعٌ بهيج للشّرب والموسيقى والنّقاشات الفكريّة لدى الإغريق. (المترجم).

[5] ميناءٌ يطلّ على بحر إيجة. (المترجم).

ليسَ ذهبيَّ الحوريّاتِ[6]، بل الأحمرَ الكبيرَ، ذاكَ أنّكِ حينَ تقضمينَ
لُبّها القاسيَ بأسنانكِ اللامعةِ، تظلُّ ابتسامتُكِ الحيويّةُ
عالقةً كأبديّةٍ فوقَ الكُتُبِ.

[6] الحوريّات (Hesperides) اللّواتي كنّ يحرسن بستان التفّاح الذّهبيّ لِحِيْرا Hera، ملكة الآلهة وإلهة النّساء والزّواج. وكان البستان قد زُرع من براعم أهدتها إليها جِيْيَا Geaea (إلهة الأرض وأمّ الجبابرة Titans الذين حكموا العالم قبل آلهة الأولمب) يومَ أن قبلت الزّواج من كبير الآلهة زيوس. (المترجم).

XI

أُريدُ أن أَصِفَ جسدكِ. لا حَدَّ لجسدكِ. جسدُكِ
بتلةُ وردٍ ناعمةٌ في زجاجِ ماءٍ صافٍ. جسدكِ
غابةٌ وحشيّةٌ بأربعينَ حطّابًا أسودَ. جسدكِ
أوديةٌ رطبةٌ عميقةٌ قبل شروقِ الشّمسِ. جسدكِ
لَيْلَتَانِ بأبراجِ أجراسٍ، بِشُهُبٍ وقطاراتٍ خارجةٍ عنِ السِّكَّةِ. جسدكِ
حانةٌ خافتةُ الإنارةِ ببحّارةٍ سُكارى وبائعي تبغٍ؛ يُفرقعونَ أصابعهم في الرّقصِ،
يهشّمونَ زجاجًا، يبصقونَ ويلعنون. جسدكِ
أسطولٌ بحريٌّ بأكملهِ –غواصاتٌ، بوارجُ، سفنٌ مدفعيّةٌ؛ هَا قَدْ
رُفِعَتِ المراسِيُّ التي تَرِنُّ، وغمرَ الماءُ ظهورها؛ بحّارٌ
يقفزُ من الصّاريِّ في البحرِ. جسدكِ
صمتٌ مُتعدِّدُ الأصواتِ مَزَّقتهُ خمسُ سكاكينَ، ثلاثُ حرباتٍ، وسيفٌ واحدُ.
جسدكِ بحيرةٌ شفّافةٌ تُرَى المدينةُ البيضاءُ في أعماقها. جسدكِ
أخطبوطٌ رهيبٌ هائلٌ بمجسّاتٍ نازفةٍ في حوضِ زجاجِ القمرِ
فوقَ الجادّاتِ المُنَارةِ حيثُ مرّتْ، بِوَقَارٍ،
ساعةَ العصرِ، على مَهْلِهَا، جنازةُ الإمبراطورِ الأخيرِ. أزهارٌ كثيرةٌ مُداسَةٌ
مُبلَّلةٌ بالبنزينِ ظَلَّتْ على الإسفلتِ. جسدكِ
ماخورٌ عتيقٌ في **شارعِ الضَّاحيةِ** حيثُ غانياتٌ عجائزُ
يتبرَّجنَ بأحمرِ شفاهٍ برّاقًا رخيصًا؛ يضعنَ أهدابَ جفونٍ زائفةً؛
وثمّةَ، هنالكَ، أيضًا، غانيةٌ شابّةٌ غِرَّةٌ – تُمتِّعُ نفسها مع جميعِ الزبائنِ،
تتركُ نقودها على طاولةِ الليلِ، تنسى أن تَعُدَّها. جسدكِ

صبيّةٌ مُشرقةٌ؛ إنّها تجلسُ أسفلَ شجرةِ التّفاحِ تأكلُ
قطعةَ خبزٍ طازجٍ وبندورةٍ مُمَلَّحَةٍ؛ الآنَ، ثانيةً،
تغرزُ بُرعمَ تفّاحٍ بينَ نهديها. جسدكِ
صَرَّارُ ليلٍ في أُذُنِ جَاني العنبِ— إنّهُ يطرحُ ظلاًّ بنفسجيّاً على عنقهِ الذي لوّحتهُ الشّمسُ
ثُمَّ يُغنّي وحْدَهُ كلَّ ما لا تستطيعُ الكُرومُ أنْ تقولَهُ جميعُها. جسدكِ
مَرقبٌ، بَيْدَرٌ كبيرٌ على رأسِ تَلَّةٍ-
سبعةُ أحصنةٍ بيضاءُ كالثّلجِ تَدْرُسُ عبرَ حُزَمِ **الكتابِ المُقدّسِ**؛ قشٌّ ذهبيٌّ
يشبكُ مرايا صغيرةً فوقَ شعركِ، والأنهرُ الثلاثةُ تلمعُ
حيثُ تنحني بقراتٌ كبيرةٌ سوداءُ برؤوسٍ قاسيةٍ،
تشربُ الماءَ، وتبكي. جسدكِ لا حدَّ لَهُ.
جسدكِ لا يُوصَفُ. أريدُ أنْ أَصِفَهُ،
أنْ أقبضَ عليهِ بِشِدَّةٍ قُبالةَ جسدي، أنْ أحتويهِ وأنْ أُحتَوَى.

XII

النّهارُ مجنونٌ. البيتُ مجنونٌ. ملاءاتُ السّريرِ مجنونةٌ.
وأنتِ، كذلكَ، مجنونةٌ؛ ترقصينَ بالسّتارةِ البيضاء بينَ ذراعيكِ؛
نتقرينَ على الكِفْتِ فوقَ أوراقي كمَا لَوْ تضربينَ على دُفٍ؛
تركضُ القصائدُ في الغرفِ؛ ورائحةُ الحليبِ المحترقِ تفوحُ؛
ينظرُ الحصانُ البلّوريُّ خارجَ النّافذةِ. انتظري— أقولُ—
لقد نسينا الحاملَ ثلاثيَّ القوائمِ لِفِيْمُوْنُوْيْسَ في ردهةِ نقابةِ الحطّابينَ؛
مهابطُ الوحي مقلوبةٌ رأسًا على عقبٍ. لقد نسينا قمرَ البارحةِ النّازفَ،
الأرضَ المحروثةَ للتَّوِّ. عربةٌ تعبرُ محمّلةً دُفلَى.
أظافركِ بتلاتُ وردٍ. لا تُبَرِّري نَفْسَكِ. لقد وضعتِ في خزانتكِ
حقائبَ منسوجةً بالحريرِ مملوءَةً خُزامى. مظلاّتُ الشّمسِ جُنَّتْ،
صارتْ متشابكةً بأجنحةِ الملائكةِ. تُلوّحينَ بمنديلكِ؛
مَنْ تُحَيِّينَ؟ أيَّ ناسٍ تُحَيِّين؟ —العالَمَ كُلَّهُ.
سلحفاةٌ مائيَّةٌ سمراءُ استقرّتْ مُرتاحةً فوقَ ركبتيكِ؛
طحالبُ بحريّةٌ مُخضَّلةٌ تتحرّكُ فوقَ صدفتها المنحوتةِ. وترقصينَ.
طَارَةُ برميلٍ من عصورٍ غابرةٍ تتدحرجُ أسفلَ التَّلِّ
ثُمَّ تسقطُ في الجدولِ، راشقةً قَطْرَ ماءٍ، يُبلِّلُ قدمَيْكِ،

ويُبَلِّلُ ذقنكِ، توقَّفي كي أُنشِّفَكِ.
ولكنَّكِ لا تسمعينني في رقصكِ. حسنًا إذن، فالأمدُ
زوبعةٌ، والحياةُ دوريّةٌ، لا نهايةَ لها. لقد مَرَّ الخيَّالةُ
ليلةَ الأمسِ. فتياتٌ عارياتٌ على أردافِ الخيولِ؛
رُبّما لهذا كانتِ الإوزّاتُ البريّةُ تصرخُ في بُرجِ الجَرَسِ، لم نسمعها
حينَ غرقتْ في نَومِنا حوافرُ الخيلِ. اليومَ، أمامَ بابكِ،
وجدتِ حدوةَ حصانٍ فضيّةً. علّقتها فوقَ عتبةِ البيتِ. يَا لِحُسنِ طالعي—صِحْتِ—
يَا لِحُسنِ طالعي—صِحْتِ— ثمّ رقصتِ. قُربكِ، ترقصُ المرآةُ الطّويلةُ أيضًا،
تلمعُ بألفِ جسدٍ وتمثالِ **هِيْبالِيْتَس**[7] مُكلَّلاً بالخشخاشِ.
لقد رحلَ ببغائي—تقولينَ كلّما رقصتِ— ولا أحدَ يُقلِّدُ ثانيةً صوتي؛ إلى الأبدِ، إلى
الأبد—
هذا الصوتُ الذي ينبعثُ منّي يخرجُ من غابةِ **دُوْدُوْنَا**[8]
بحيراتٌ صافيةٌ تصعدُ في الهواءِ بكلِّ زنابقها البيضاءِ،
بكلِّ نباتاتِ قيعانها. نقطعُ قَصَبًا،
ونُشيِّدُ كوخًا ذهبيًّا. بِمَشَقَّةٍ تصعدينَ الى السّقفِ.
بِكِلتا يديَّ أقبضُ على كاحليكِ. فلا تهبطي.
تطيرينَ. تطيرينَ في الزّرقةِ. تسحبيني معكِ
ذاكَ أنّيَ أقبضُ على كاحليكِ. من كتفيكِ
تسقطُ المنشفةُ الزرقاءُ الكبيرةُ على الماءِ؛ تطفو لبُرهةٍ ثُمَّ
بِطَيَّاتٍ واسعةٍ تغرقُ، تاركةً على وجهِ الماءِ
نجمةً خماسيّةً ترتعشُ. لا تذهبي أبعدَ— أصرخُ— لا تذهبي أبعدَ.
وفجأةً، نهبطُ، بارتطامٍ أخرسَ، فوقَ السّريرِ الخُرافيِّ. هَا أَنصِتي—
في الشّارعِ، أسفلَ، يعبرُ المُضربونَ بلافتاتهم وبيارقهم.

---

[7] Hippolytos (من اليونانيّة -Hippo: حصان، وَlyo: أن يُطلِق/يُحرّر). تقول الأسطورة أنّه كان ابن شسيس Theseus (ابن ايجييس Aegeus، وملك أثينا، الذي ذاع صيته لقتله المينوطور— الوحش الخرافيّ الذي هو نصف رجل ونصف ثور كان شباب أثينا يقدّمون له كقربان في المتاهة الكْريتيّة)، وكانت زوجة أبيه فيدرا Phaedra قد ألّبت أباه عليه باتّهامات زائفة، حين رفض حبّها، فطلبَ من إله البحار والزّلازل والخيول بوزيدن Poseidon أن يعجّل في أجله. وتقول الأسطورة أيضًا أنّ فيدرا قد انتحرت بعد موته مباشرة. (المترجم).

[8] Dodona: مهبط الوحي في اليونان القديمة. (المترجم).

هل تسمعين؟ لقد تأخّرنا. خُذي أيضًا منديلكِ الذي ترقصينَ بهِ. فَلْنَمْضِ. أشكركِ، يا حُبّي.

أثينا، 1981